[redacted]

دراسة تأصيلية

إعداد

أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغيّر

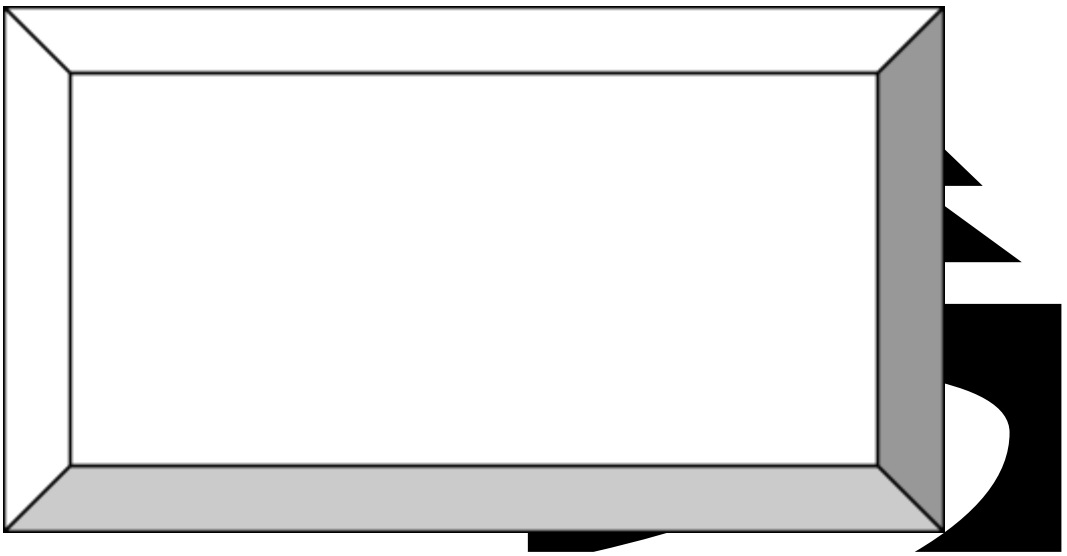

الـمقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن المتأمل في هذا العصر يجد أن الشعوب والأمم، الصغار منهم والكبار، والرجال منهم والنساء، تتسابق للالتحاق بركب التطور والتقدم الذي يحدث في كل لحظة على الأرض وفي ميادين الحياة المختلفة، والأمة المسلمة جزء من هذه المنظومة البشرية التي تتحرك حسب موقعها بين الأمم، وحسب ما تمتلكه من المقدرات والمقومات للخوض في هذا السباق الرهيب في العالم.

وهذه الأمة تتميز عن سائر الأمم والشعوب، تتميز عنهم في خصائصها، وتاريخها، وحضارتها، لأنها أمة القرآن التي وصفها الله بالخيرية، في قوله تعالى: ﴿ ﴾[1].

كما حفلت مسيرة هذه الأمة بالإنجازات العظيمة في شتى المجالات، فلم تظهر أمة تمتلك هذا الكم الهائل من الإنجازات والابتكارات في علوم الطب والفلك والفيزياء والرياضيات والفلسفة والاجتماع والأدب وغيرها، إضافة إلى الإبداع الهائل في مجال الاجتهاد في العلوم الشرعية، كل ذلك بفضل التوجيهات القرآنية والنبوية التي تحث الأمة على استثمار قدرات أبنائها ومهاراتهم المتميزة للإبداع والابتكار في شتى مناحي

---

[1]() سورة آل عمران، الآية 110.

الحياة.

ولا يمكن الإحاطة بجميع التوجيهات الشرعية في هذا الباب، ولكني اقتصرت في هذا البحث على بعض التوجيهات النبوية المباركة التي تحث الأمة على الإبداع والابتكار، كل حسب تخصصه، والمجال الذي يرغبه ويميل إليه، ففي السنة النبوية كنوز عظيمة نستخرج منها في هذه الورقات ما أشرت إليه، لعله يكون حافزًا ومشجعًا لمن أراد أن ينضم إلى فريق المبدعين.

هدف البحث :

يتضح ـ مما سبق ـ بأن البحث يهدف إلى ما يلي :

1- تشجيع ذوي القدرات والمواهب على الإبداع، لاستثمار ما وهبهم الله تعالى من قدرات ومواهب في مجالات الخير المتعددة.

2 ـ أن الإبداع مطلب شرعي، حثت عليه السنة النبوية، يظهر ذلك من أقوال النبي ﷺ وتطبيقاته ـ كما سيأتي ـ فهو إمام المبدعين.

3- أن الإبداع عملية ليست من الصعوبة بمكان لا يستطيعها إلا نفر قليل من الخلق، بل كلٌّ يستطيع إذا استغل ما وهبه الله من القدرات والمواهب في الاتجاه الصحيح.

4- أن الغاية من الإبداع تجمع عدة أمور من أهمها أنه من أعظم العبادات المستحبة التي حثّ عليها الشرع، فاجتهاد المبدع في مجاله المباح عبادة يؤجر عليها إذا قرنت بالإخلاص لله سبحانه وتعالى.

خطة البحث :

جاءت خطة البحث على النحو الآتي :

المقدمة: في أهمية الموضوع، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: ويشمل:

ـ مفهوم الإبداع والابتكار.

ـ الفرق بين الإبداع المطلوب والبدعة المذمومة.

ـ شمولية التوجيهات النبوية لكافة ما يتطلبه رقي الفرد والمجتمع.

- أهمية (الإبداع) لرقي الفرد والمجتمع.

- المبحث الأول: التوجيهات النبوية العامة للحث على الإبداع، ويشمل:
  - أولًا: الحث على التفكر في الكون.
  - ثانيًا: الحث على تنمية التفكير.
  - ثالثًا: الحث على تنمية المواهب والقدرات.
  - رابعًا: الحث على حسن التعامل مع الكون، والإنسان.
  - خامسًا: الحث على الإبداع بعظم الأجر والثواب.
- المبحث الثاني: من ميادين الإبداع، ويشمل:
  - مدخل: الإبداع في العبادة والموقف منه.
  - أولًا: الإبداع العلمي والمعرفي:
    - الإبداع في العلوم الشرعية.
    - الإبداع في العلوم التطبيقية.
  - ثانيًا: الإبداع المهني والتقني (العمل) وفيه:
    - مشروعية العمل والحث عليه.
    - نوعية العمل.
    - الإتقان والتجديد والتطوير فيه.
  - ثالثًا: الإبداع الاقتصادي، وفيه:
    - المال مال الله تعالى.
    - الأصل في التعامل المالي الحل.
    - التوازن في التعامل المالي موارد ومصارف.
    - الاقتصاد الفردي.
    - الاقتصاد الجماعي.

- رابعًا: الإبداع الأدبي والبلاغي، وفيه:
  - مكانة الأدب في السنة النبوية.
  - الإبداع الأدبي الحقيقي وغيره.
  - أثر الإبداع الأدبي في تقدم الشعوب ونصرتها.
- خامسًا: الإبداع الفكري، وفيه:
  - مكانة الفكر وتنميته في السنة النبوية.
  - مبدأ الاجتهاد.
  - حدود الفكر وضوابطه.
- سادسًا: الإبداع في بناء الشخصية الشمولية.

■ المبحث الثالث: ضوابط سلامة الإبداع في السنة النبوية وآثارها، وفيه:
- **أولًا**: الضوابط.
- **ثانيًا**: الآثار والفوائد.

■ المبحث الرابع: سمات المبدع وعوامل تكوين الإبداع وتشجيعه، وفيه:
- **أولًا**: سمات المبدع.
- **ثانيًا**: عوامل تكوينه.

■ المبحث الخامس: معوقات الإبداع الفردي والجماعي.

■ الخاتمة.

■ فهرس الموضوعات.

منهج البحث :

وقد التزمت في منهجية البحث ما يلي: تقسيمه إلى مباحث مع محاولة عدم الإطالة ليكون أجمع للبحث، كما عزوت الآيات وخرجت الأحاديث، بالإضافة إلى محاولة إبراز ما يتعلق بجوانب الموضوع.

أسأل الله العظيم أن ينفع به ويكون دافعًا وحافزًا للجد في المسيرة الإبداعية والابتكارية، إنه سميع قريب.

وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه
أ. د. فالح بن محمد بن فـالح
الصغيّر
المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها
faleh@alssunnah.com

☼☼☼☼☼

التم
الإبداع: مفهومه

أولاً: مفهوم الإبداع والابتكار :

الإبداع في اللغة: بدع: بدَع الشيءَ يَبْدعُه بَدْعًا وابْتَدعه: أنشأه وبدأه. وبدَع الرّكِيَّة: استَنْبَطَها وأحدثها. وركِيٌّ بديعٌ: حديثةُ الحَفْر. والبديعُ والبِدْعُ: الشيء الذي يكون أولًا. وفي التنزيل: [illegible] (2) أي ما كنت أول من أُرْسلن قد أرسل قبلي رسل كثير.

والبديعُ: المُحْدَثُ العجيب. والبديعُ: المُبدِع. وأبْدَعْتُ الشيء: اخْتَرَعْته لا على مثال(3).

في المصطلح الإسلامي: فإن الإبداع هو حدوث نمط من التفكير لدى الإنسان في التعاطي مع الأشياء بصورة مخالفة لما تآلف عليه الناس لإظهار شيء جديد لم يكن مكتشفًا من قبل، بشرط أن يجلب منفعة ويحقق مصلحة للفرد أو المجتمع أو الأمة، وألا يتعارض مع عقيدة الإسلام وقواعده وأحكامه وتشريعاته.

ويتضح من هذا التعريف أن مفهوم الإبداع واسع، يشمل معظم مجالات الحياة، فلا يقتصر على علم من العلوم، أو فن من الفنون، أو مجال محدد في الحياة، وإنما ينضوي تحته جميع العلوم والمعارف الدنيوية المادية والنظرية.

كما يتبين من هذا التعريف أن الإبداع هو ثمرة التفكير الإنساني، ومدى قدرته على التعامل مع الوسط الخارجي والاستفادة من محتوياته للحصول على أشياء جديدة تحقق الراحة والسعادة للإنسان.

ثم إن مفهوم الإبداع في التصور الإسلامي يضع شرطًا مهمًا لكون الشيء إبداعًا،

---

(2) سورة الأحقاف، الآية 9.
(3) لسان العرب، مادة: بَدَعَ (9/351 - 352).

وهو تحقيق المصلحة والمنفعة للناس، وبذلك يخرج عن هذا التعريف كل صناعة أو تجارة أو علم أو فن يضر الناس في عقيدتهم أو في أنفسهم أو في أموالهم، كمثل الذي يصنع الخمر من الكرم، أو كالذي عنده علم بالسحر ويتعامل مع الشياطين، فإنه يضر بالناس وفرق بينهم، كما يضر بعقائدهم وقيمهم، فهذا لا يدخل تحت مسمى الإبداع المطلوب البتة.

الفرق بين الإبداع والبدعة :

يحسن بنا ونحن في المفهوم، أن نذكر الفرق بين الإبداع والبدعة؛ إذ أن أصل الكلمة واحد وهو (ب د ع)، فالإبداع كما سبق بالمفهوم الإسلامي هو إيجاد شيء جديد لم يكن مكتشفًا ومعروفًا من قبل، وتتحقق منه المنفعة ولا يتعارض مع الشرع، وأما البدعة فهو الابتداع في الدين بعد أن أكمله الله زيادة على ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، قال جلّ ثناؤه: [illegible] (4).

وقد نهى النبي ﷺ عن البدعة في الدين وعدّه من الضلال والانحراف، قال عليه الصلاة والسلام: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(5)، **ويقول ﷺ: «وكل بدعة ضلالة**»(6).

فأي إحداث في الدين بزيادة أو تبديل أو تحريف أو تأويل يعدّ بدعة ومخالفة صريحة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

وأما الإبداع في المجالات الأخرى فمطلوب وتقع مسؤوليتها على جميع أبناء الأمة، من الأفراد والجماعات والمؤسسات والحكومات، كالإبداع في مجالات التفكير

---

(4) سورة المائدة، الآية 3.

(5) أخرجه البخاري (ص 440 رقم 2697)، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ومسلم (ص762 رقم 1718)، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، وأبوداود (ص 651 رقم 1718)، كتاب السنة، باب لزوم السنة بلفظ: «ما ليس فيه»، وابن ماجه (ص 2 رقم 14)، في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ.

(6) أخرجه مسلم (ص347 رقم 867)، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة عن طريق جابر ابن عبد الله ط.

ونمط الحياة والطب والهندسة والفيزياء والرياضيات والفلك والأحياء والمعدات العسكرية وغيرها.

وبذلك يتضح الفرق بين الإبداع الذي هو موضوع البحث والبدعة في الدِّين التي نهى الشارع عنها، لأن الإسلام حدد لسلوك الإنسان وعمله مسارات واضحة يسير من خلالها نحو الخير والهدى، وتجنبه طرق الضلال والضياع.

ثانيًا: شمولية التوجيهات النبوية لكافة ما يتطلبه رقي الفرد والمجتمع :

إن الإسلام هو الدين الخاتم للبشرية جميعًا، لقول الله تعالى: (7)، ولن يقبل من أحد دين آخي غير هذا الدين، لقول الله تعالى: (8)، لأنه الدين الذي أرسل للناس كافة، ولم يكن خاصًا بقوم أو زمان أو مكان، قال الله تعالى: (9).

وبذلك فإن الله قد ختم الرسالات بكتابه المبين الذي هو دستور متكامل لما يحتاج

---

(7) سورة آل عمران، الآية 19.
(8) سورة آل عمران، الآية 85.
(9) سورة الأنبياء، الآية 107.

إليه الناس من أمور الدنيا والآخرة، فهو الكتاب الذي يتحدث عن حقيقة الكون والإنسان والحياة، ويتحدث عن ضرورة التفكر والتأمل في الكون للوصول إلى الإيمان بالله وتوحيده، ثم إن هذا الكتاب المبين يحتوي على الأحكام والتشريعات التي تنظم حياة الناس في الدنيا، وعلاقتها بالآخرة وما فيها من نعيم أو عذاب.

ومن نعمة الله على عباده أن جعل سنة رسوله ﷺ مكملة لما جاء في القرآن الكريم ومفسرة ومبينة له، وموضحة ومفصلة للأحكام والتشريعات، قال الله تعالى: 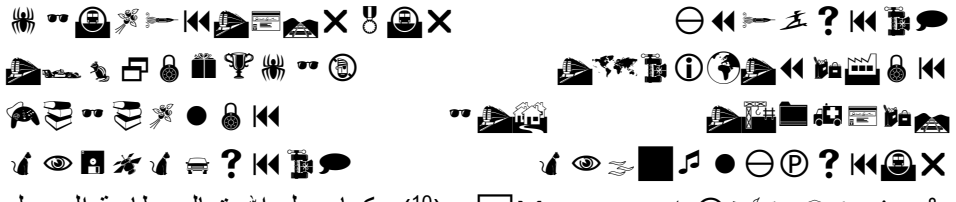 ([10])، كما جعل الله تعالى طاعة الرسول ﷺ من طاعته، واتباعه من اتباعه، في الأمر والنهي، قال الله تعالى: 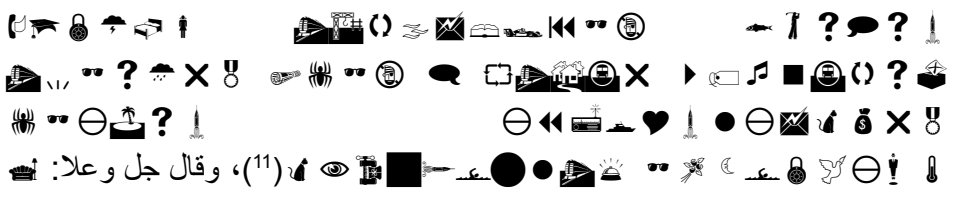 ([11])، وقال جل وعلا: ([12]).

لذا، فإن السنة النبوية وتوجيهات النبي ﷺ وتعليماته وأوامره ونواهيه ملزمة للأمة تطبيقًا وتنفيذًا، وقد شملت هذه التعاليم مناحي الحياة جميعها، فلم تقتصر على أمور العقيدة في التوحيد وإفراد العبودية لله، أو بيان أركان الإيمان والإسلام وكيفية أداء العبادات، وإنما تعدت ذلك لتشمل حركة الإنسان على الأرض من ميلاده إلى مماته، كل

---

[10] () سورة النحل، الآية 44.
[11] () سورة النساء، الآية 80.
[12] () سورة الحشر، الآية 7.

ذلك من أجل الارتقاء بالفرد والمجتمع والأمة إلى أعلى مراتب الحضارة والرفعة، وتحقيق السعادة الحقيقية لهم في الحياة الدنيا والحصول على رضى الله وثوابه في الآخرة.

- ومن هنا فقد اعتنى النبي ﷺ بالإنسان في مراحل طفولته الأولى، فتطرق إلى حقوقه على الوالدين والأخوة والأقارب وولي أمر المسلمين في ضرورة تأمين هذه الحقوق من رضاعته إلى كسوته إلى تعليمه وتربيته، إلى حقه في الميراث وغير ذلك.

- ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التكليف التي تحدد الحقوق والواجبات المنوطة بالإنسان، وقد كثرت التوجيهات النبوية في هذه المرحلة، كأداء الفرائض والحث على سائر العبادات وسبل الخير المختلفة، من الإحسان إلى الناس وإعانتهم، وخاصة ضمن الأسرة نحو الوالدين اللذين جاءت فيهما أحاديث كثيرة في البرّ بهما والحذر من عقوقهما.

- كما أن التوجيهات النبوية شملت تشريعات قضائية لتحقق للإنسان توازنًا وقوة في الدنيا، مثل تحديد بعض العقوبات والحدود للذين ينحرفون عن جادة الطريق ويعتدون على حقوق الله وحقوق العباد، فمن أجل ألا تحل الفوضى والقلق بين الناس أرسى النبي ﷺ بعض القواعد لتأمين هذا الجانب في الحياة، كحد شارب الخمر، وحد السارق، وحد الزاني، وغيرها من الحدود، مثل قول النبي عليه الصلاة والسلام في حد السارق: «تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ فِي رُبُعِ دِينَارٍ»[13].

- كما شملت التوجيهات النبوية الحثَّ على العلم والتعلم، سواء كان علمًا شرعيًا أو علمًا تطبيقيًا وتجريبيًا، فكل واحد منهما يكمل الآخر، ويحقق الرقي للإنسان الذي به يعمر الكون تحقيقًا لقول الله تعالى:

---

[13]() أخرجه البخاري (ص 1170 رقم 6790)، كتاب الحدود، باب قول الله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)، ومسلم (ص746 رقم 1684)، كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها، كلاهما عن عائشة ك، واللفظ للبخاري.

بل إن هذا العلم فرض على المسلمين جميعًا ما دام ضمن الضوابط الشرعية، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»([15]).

- كما شملت التوجيهات النبوية الحث على العمل وإتقانه والإبداع فيه، وعدم التكاسل فيه، يقول عليه الصلاة والسلام: «إن قامت الساعة وبيد أحكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»([16]).

- إضافة إلى ذلك بيّنت التوجيهات النبوية الجانب الاقتصادي من حياة الإنسان، فأمره بعدم الإسراف وعدم التقتير، والسعي في الأرض من أجل الرزق، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة»([17]).

- بل إن التوجيهات النبوية تناولت آدابًا كثيرة تتعلق بحياة الإنسان اليومية من الصباح إلى المساء، حين حددت الأذكار المناسبة لكل حركة وموقف من حياة الإنسان، فعلّمته كيف يأكل ويشرب، وماذا يقول عند الابتداء والانتهاء، وعلمته كيفية الخروج والدخول إلى المنزل، وكيف يلبس الإنسان، وماذا يلبس وهكذا.

- ولم تتوقف التوجيهات النبوية عند حدٍّ معين حين شملت حركة الإنسان في الحياة، بل حثت الإنسان على ضرورة القيام بهذه التوجيهات وأدائها على أحسن صورة، وضرورة الاجتهاد والإبداع فيها إذا كان الشرع يسمح بذلك، فعلى سبيل المثال لم يقتصر توجيه النبي ﷺ وأمره للمؤمنين بالعمل في مجال محدد أو مهنة معينة، وإنما

---

[14] () سورة البقرة، الآية 30.

[15] () أخرجه ابن ماجه برقم (224) ص(34) في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم (224) ص(34)، عن أنس بن مالك ط.

[16] () أخرجه أحمد (20/ 251 رقم 12902)، و(20/296 رقم 12981) في الموضعين عن أنس بن مالك ط. وإسناده صحيح.

[17] () أخرجه ابن ماجه، كتاب اللباس، باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة، برقم (3605) ص(519)، واللفظ له، والنسائي، كتاب الزكاة، باب الاحتيال في الصدقة، برقم (2560) ص(354)، والإمام أحمد في مسنده (11/294 و11/312)، وكلهم عن طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. والحديث حسّنه الألباني (ينظر: تخريج مشكاة المصابيح، ص(1252).

جاء الأمر عامًا ليتمكن الإنسان من القيام بالعمل الذي يناسبه ويتمكن من تطويره والإبداع فيه، وهكذا سائر التوجيهات الأخرى التي جاءت في المجالات المختلفة.

جاءت كل هذه التوجيهات والإرشادات النبوية من أجل تحقيق السعادة للمسلم والرقي به إلى أعلى مراتب الرفعة والتمكين، حتى تكون الريادة بيده في الحياة، ويصبح قائدًا لركب الحضارة البشرية المؤدي إلى عمارة الأرض والكون وهي هدف من أهداف وجود الإنسان في الحياة.

ثالثًا: أهمية (الإبداع) لرقي الفرد والمجتمع :

تتجلى أهمية الإبداع ووجود المبدعين من أبعاد عدة، منها:

1- **لا يخفى على أحد أن حركة الحياة في حالة تغير وتطور دائم،** وهي تحتاج وفق هذا التغيير إلى الأدوات والوسائل المناسبة لها، فلا يمكن أن يتقدم الإنسان إلى الأمام ويسابق الآخرين وينافسهم في تطورهم بالاعتماد على الوسائل القديمة، وإنما يحتاج الأمر إلى تناسب وتلائم بين حركة الإنسان وتفكيره الذي يدفعه إلى الأمام وبين ما يستخدمه من وسائل من أجل تحقيق ذلك، فكان أمرًا طبيعيًا وسنة كونية أن يفكر الإنسان بالإبداع والابتكار للوصول على تحقيق أهدافه بأقصر الأوقات وأسهل الطرق، بالإضافة إلى التقليل والتخفيف من الأتعاب التي كانت تثقل كاهله من قبل.

2 - **إن الله أودع في الإنسان قدرات عقلية عالية ومهارات فكرية عظيمة** من أجل أن يستخدمها للانتقال من الحال التي هو فيها إلى الحال الأفضل والأحسن، إضافة إلى ما يتمتع به كثير من الناس زيادة على هذه القدرات المكنونة من بسطة في الجسم والبنية، فكل ذلك يسهم ويساعد الإنسان لأنْ يبدع ويبتكر ويحوّل المادة الخام أو المواد الأولية التي بين يديه إلى مواد فاعلة وأدوات وآلات تسهل عليه كثيرًا من أعباء الحياة، سواء من الجوانب الإنسانية أو من النواحي المادية التي يحتاج إليها.

3 - **من نعمة الله - أيضًا - على هذا الإنسان أن وفّر له جميع ما يحتاج إليه في مسيرته الإبداعية وحركته وتقدمه إلى الأفضل،** حيث يوجد في هذا الكون الذي يحيط به من الأشياء التي تعينه للقيام بالعملية الإبداعية، لا سيما وأنه يعيش - حاليًا - في عصر يسهل عليه الحصول على أي مادة أو معلومة في وقت قياسي قصير وبأسرع الطرق، بفضل الله، ثم التطور التقني الهائل الذي يتحرك العالم في دائرته وينجز معظم أعماله من خلال أدواته وتقنياته، قال الله تعالى: ﴿

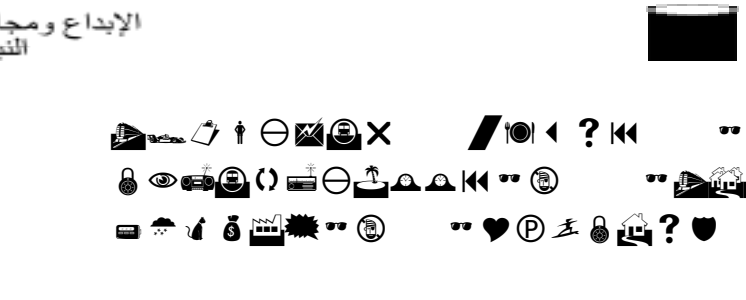

.([18])

4 - **إن الإنسان بحاجة ماسة على الإبداع والابتكار وخاصة في هذا العصر الذي لا يمكن التعامل فيه مع الآخرين إلا عبر أحدث المعايير العلمية والتقنية**، وهذا لا يقتصر على الرجال فحسب، وإنما يشمل الرجال والنساء، فالعمل والسعي من أجل عمارة الأرض وبناء الإنسان وسعادته ليس من شأن الرجال وحدهم، بل إن النساء هن الشطر الآخر الذي يكمل مع الرجال أداء هذه المهمة العظيمة، حيث جاء التوجيه الرباني عامًا للرجال والنساء بالعمل النافع الذي يفيد الناس في دنياهم وأخراهم ورتّب الجزاء الأوفى عليه، قال الله تعالى:

.([19])

5 - **إن الإبداع من صميم التوازن الذي دعى إليه الإسلام**، وهو الاعتدال بين الجانب الروحي والمادي، والجانب الدنيوي والأخروي، بل إن هذا الدِّين جعل مجال السعي والعمل في الأرض مفتوحًا للإنسان ليبدع ويبتكر ويخترع ويتكشف المجاهيل ما دام ذلك لا يتعارض مع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، قال الله تعالى:

([18]) سورة الجاثية، الآية 13.
([19]) سورة النساء، الآية 124.

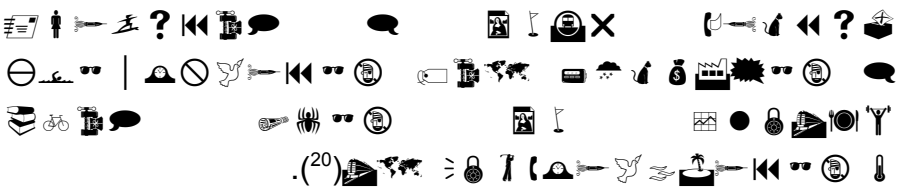

6- **إن العلمية الإبداعية مطلب شرعي وحاجة إنسانية ملحة** ينبغي مواكبتها، والعمل الدؤوب على تفعيلها، وتهيئة الأسباب والأدوات اللازمة لها، حتى لا تتخلف الأمة عن ركب الحضارة وتصبح عالة على الأمم الأخرى.

☼☼☼☼☼

([20]) سورة القصص، الآية 77.

المـ
التوجيهات النبوية

جاءت توجيهات نبوية كثيرة ومتعددة للحث على الإبداع، مباشرة وغير مباشرة، أعرض بعضها فيما يلي:

أولاً: الحث على التفكر في الكون :

إن الحث على التفكير في هذا الكون وما يحتضنه من آيات وبينات هو المدخل إلى العملية الإبداعية، لذا كانت التوجيهات النبوية واضحة في هذا المجال، فقد وردت أحاديث كثيرة تحث المؤمنين على التأمل والتدبر في مخلوقات الله وآياته في كونه الفسيح الذي لا يعرف عجائبه وغرائبه إلا الله تعالى، ابتداء بتحنث النبي ﷺ في الغار وتأمله في الكون كما في حديث بدء الوحي المشهور([21])، وهذا التدبر والتفكر جزء من مهمة الإنسان في الحياة؛ ليصل إلى الاكتشاف والاختراع والإبداع بالأشكال المتعددة؛ لتحقق له ولمن حوله السعادة والراحة في الحياة، وتوصلهم إلى الله عن طريق أداة التفكر والتأمل وهي العقل، وبالتالي تحقيق الغاية الكبرى من الوجود وهي عبادة الله تعالى وعمارة أرضه بالخير والعدل، وتبليغ دعوته إلى الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال الله تعالى: ﴿ ﴾ ([22]).

ويجب ألا يتجاوز التفكير حدوده، أو يتمعن فيما لا يطيقه، لأن كل مدارك الإنسان محدودة، فلا يمكن أن يتحمل تصورًا أكبر من هذه المدارك، لذا، حثت التوجيهات الشرعية الفكر على التأمل والتدبر في الكون ومكوناته؛ ليصل بذلك إلى عظمة الخالق وعظمة إبداعه في سمواته وأرضه ومخلوقاته، قال الله تعالى: ﴿ ﴾

([21]) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي (ص 1 رقم 3).
([22]) سورة الذاريات، الآية 56.

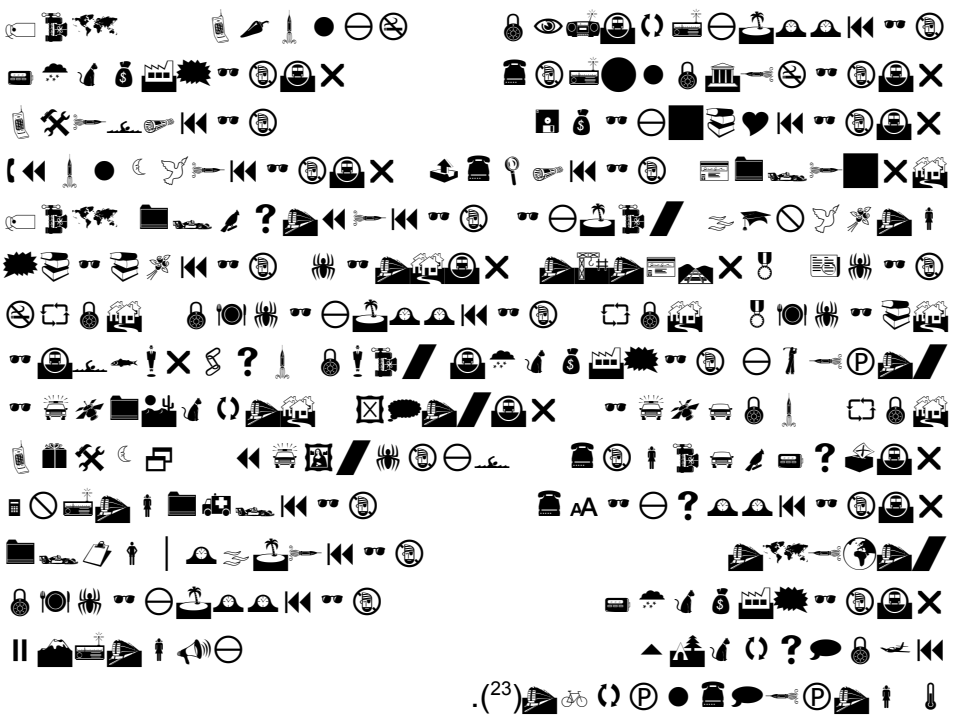

فعلى سبيل المثال: حين يتأمل الإنسان ويتدبر في عملية نزول الماء من السماء، وتشوق الأرض والتربة المتعطشة إليها؛ لتخرج ما لذّ من النعم والثمرات، يتولّد عنده الرغبة في معرفة طبيعة الماء ومحتوياته والأسرار التي يحملها للأرض حتى تخرج به هذه الطيبات، وبعدها يمكن أن يكتشف من الماء بعد البحث والتجربة منافع أخرى وعناصر جديدة تفيده وتفيد المجتمع في مجالات أخرى.

فالتأمل والتدبر في خلق الله وآياته هو المدخل إلى الإبداع إذا أحسن الإنسان ذلك، بحيث يجعل مجال تفكيره وتأمله في المخلوقات التي يستطيع تصورها وإدراكها حتى يتمكن من الاستفادة منها في التحرك نحو الأمام ويستخدم بعض نواميسها وأشيائها في هذا التحرك، فيكتشف ويبدع في المجال الذي يعمل فيه، ثم تأتي الجهود الأخرى من غيره ومن الأجيال اللاحقة لتكمل مسيرته الإبداعية بصورة أفضل وهكذا.

ثانيًا: الحث على تنمية التفكير :

---

[23]() سورة البقرة، الآية 164.

إن من أولويات التوجيهات النبوية للصحابة رضوان الله عليهم هو تحريك أدوات التفكير لديهم وتنميتها للوصول إلى حال أفضل مما هم عليه، أو للوصول إلى أفضل علاج لما يقع لهم من أحداث ومشكلات، أو من أجل معرفة الحقائق بصورة صحيحة شكلًا ومضمونًا، حيث كانت هذه التوجيهات تحيي هممهم وتشد من عزائمهم في شؤونهم كلها.

فكان النبي عليه الصلاة والسلام في كثير من المواقف التي يريد أن يوصل من خلالها إلى الصحابة خبرًا أو حكمًا أو أمرًا أو نهيًا، لجأ إلى ما يحرك التفكير والتأمل عندهم، من خلال طرح السؤال عليهم أو تحوير الحدث إلى استفسار يشترك فيه الجميع، فعن عبد الله بن عمر ط قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي»؟ فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: «**هي النخلة**»([24]).

وكذلك حين سألهم النبي ﷺ عن حقيقية الإفلاس، فجعل الأمر على شكل سؤال، فقال: «أتدرون ما المفلس»؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»([25]).

فأسلوب الحث على تنمية عنصر التأمل والتفكر عند الإنسان يهيئه للإبداع والاختراع، لأنه حين يفكر ويتأمل في حدث أو مشكلة أو أي شيء آخر لإيجاد الحلول لها وإخراجها إلى الواقع بصورة حسنة، فإنه يستحضر أكبر عدد من الحلول والتصورات، وهي نقطة التحول إلى عالم الإبداع.

ثالثًا: الحث على تنمية المواهب والقدرات :

حفلت التوجيهات النبوية بمواقف تدل على عمق اهتمام الرسول ﷺ بتنمية المواهب والقدرات عند أصحابه رضوان الله عليهم، وكان عليه الصلاة والسلام إذا وجد

([24]) أخرجه البخاري برقم (61)، ص(14).
([25]) أخرجه مسلم برقم (2581)، ص(1129 - 1130).

في أحدهم موهبة أو مهارة في أي مجال أو تخصص صرّح بذلك وشجعه على المزيد من الإتقان والأداء في ذلك المجال، فقد أشار إلى مجموعة من الصحابة رضوان الله عليهم الذين تميزوا بحفظ القرآن وتلاوته بصورة حسنة وأداء جميل، تشجيعًا لهم وحافزًا لغيرهم ليقتدوا بهم ويأخذوا منهم القرآن بهذا النمط الجميل، حيث قال: «استقرؤوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود ـ فبدأ به ـ، وسالم مولى أبي حذيفة وأبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل ن»([26]).

وفي موقف آخر كلّف النبي ﷺ زيد بن ثابت ط بتعلم لغة اليهود وكتابهم حين وجد فيه إمكانية القيام بذلك، لما كان يتمتع به زيد ط في هذا المجال، قال زيد ط: لما قدم النبي ﷺ المدينة، ذُهب بي إلى النبي ﷺ فأعجب بي، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار، معه ما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجبَ ذلك النبيّ ﷺ وقال: «يا زيد، تعلَّم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمَن يهود على كتابي» قال زيد ط: «فتعلّمتُ له كتابهم، ما مرّتْ بي خمس عشرة ليلة حتى حذقتُه» وكنتُ أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنهم إذا كتب([27]).

وهذا يعني أن النبي ﷺ حين وجد زيدًا أهلًا لهذه المهمة أوكلها إليه، وصدقت نظرته عليه الصلاة والسلام لتلك المهارة التي يمتلكها زيد ط، خاصة وأنه تعلّم لغة اليهود خلال خمسة عشرة يومًا.

والمثال الثالث في حث النبي ﷺ واهتمامه بتنمية المواهب والقدرات عند الصحابة حين بعث معاذًا ط إلى اليمن قاضيًا، قال معاذ ط: «أن رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن فقال: كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله قال: فبسنة رسول الله ﷺ قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ قال: أجتهد رأيي لا آلو قال فضرب رسول الله صدري، ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ»([28]).

---

[26]() أخرجه البخار ي في صحيحه، برقم (3758)، ص(632)، ومسلم في صحيحه، برقم(2464)، ص(1083)، كلاهما عن عبد الله بن عمر م.

[27]() أخرجه أحمد (35/490)، برقم (21618)، وأبوداود، برقم(3645)، ص(523)، والترمذي، برقم(2715) ص(615)، كلهم عن طريق خارجة بن زيد بن ثابت م، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

[28]() أخرجه أحمد برقم (22007) (36/333)، والترمذي برقم (1327)، ص(321 - 322)، وأبوداود برقم(3592)، ص(516)، وكلهم عن معاذ بن جبل ط.

رابعًا: الحث على حسن التعامل مع الكون، والإنسان:

إن من أهم ما تقتضيه العملية الإبداعية ونجاحها في واقع الحياة هي حسن التعامل مع الأشياء في الكون والرفق بها حين استخدامها والاستفادة منها، فليس من المروءة ولا من العدل أن يقابل نعم الله - التي خلقت لخدمة الإنسان وسعادته وبقائه - بالإساءة إليها، سواء كانت الإساءة مادية بتخريب معالمها وعدم الحفاظ على رونقها وجمالها، واستخدامها في المعاصي والمنكرات والتعدي على الحقوق والممتلكات، أو كانت الإساءة معنوية في عدم التأمل والتفكر فيها والإغفال عن الحكمة الإلهية من وجودها بين يدي الناس، وبالتالي فقدان الوصال مع خالقها وبارئها.

وصور الإحسان إلى الكون والتعامل معه كثيرة، وقد جاءت التوجيهات النبوية الكثيرة التي تدل على حسن التعامل مع الكون وأشيائه، وتجنب ما يسيء إليه ويؤدي إلى خرابه وفساده، فمن تلك التوجيهات قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»([29])، فالمحافظة على نظافة الطريق وإزالة الأذى والضرر منه من أهم معالم الإحسان إلى هذا الكون.

وكذلك قوله ﷺ في الحث على الزراعة والاستفادة من نتاجها وثمارها التي تطال الإنسان إلى البهائم والدواب: «**ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة**»([30]).

ويدخل في حسن التعامل مع هذا الكون حسن التعامل مع عوالم الأحياء الأخرى من الدواب وغيرها، وقد أرسى الإسلام قواعد إنسانية عظيمة في هذا المجال، لم ولن تصل إليه أية أمة أخرى في التاريخ، ويتجلى ذلك في إحدى التوجيهات النبوية في حسن التعامل مع الدواب بقوله ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته**»([31]).

كما يدخل في حسن التعامل مع الكون عدم سبابه وشمته، أو التطير والتشاؤم من

---

[29]() أخرجه البخاري برقم (9) ص(5)، ومسلم، واللفظ له برقم(35) ص(39)، كلاهما عن أبي هريرة ط.

[30]() أخرجه البخاري برقم(2320) ص(372)، ومسلم برقم(1553) ص(680)، وكلاهما عن أنس ط.

[31]() أخرجه مسلم برقم(1955) ص(873) عن شداد بن أوس ط.

بعض محتوياته وأشيائه، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»(32).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به»(33).

والتوجيهات النبوية الشريفة في هذا المجال كثيرة جدًّا، منها: ما يتعلق بحسن التعامل مع الكواكب والنجوم، والليل والنهار، والرياح والأمطار، وغيرها مما يحتضنه هذا الكون الفسيح.

وأما حسن التعامل مع الإنسان، فقد حفلت السنة النبوية بأحاديث كثيرة تحث المسلم للتعامل مع الإنسان عامة ومع أخيه المسلم خاصة بأحسن التعامل وأفضل الكلام وألطفه وأعذبه، كما تحث هذه الأحاديث والتوجيهات على الإحسان إلى الإنسان من خلال دعوته، والسعي إلى هدايته، والعمل على تقديم الخدمات الإنسانية له إذا اقتضت الحاجة، وفي الوقت نفسه تحذّره من التعدي على ماله ودمائه وأعراضه بغير حق، ومن أهم الأحاديث الواردة في ذلك قوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»(34)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا ولا يحل

32() أخرجه مسلم برقم(2246) ص(997)، عن أبي هريرة ط.

33() أخرجه الترمذي برقم(2252) ص(517 - 518)، عن أبي بن كعب ط، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

34() أخرجه البخاري برقم(2442) ص(394)، ومسلم برقم(2581) ص(1129) كلاهما عن ابن عمر م.

لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»[35].

وغير ذلك من الأحاديث والتوجيهات النبوية المباركة.

وبذلك فإن حسن التعامل مع الكون والإنسان له أثر كبير في تكوين شخصية المسلم وإعداده لِئَن يكون مبدعًا في حياته، ومبتكرًا في مستقبل عمره، لأن الإبداع هي ثمرة يشترك في نتاجها الإنسان والكون، فإذا حدث خلل في التعامل مع الكون أو التعامل مع الإنسان فإن الإبداع يتوقف أو ينحرف به المسار، ويتحول إلى نقمة على البشرية بدل أن يكون نعمة وسعادة لها، كما هي حال كثير من المجتمعات التي أخذ فيه الإبداع توجهًا مخالفًا لسنة الله تعالى ونواميسه في الحياة.

وما دلت عليه السنة النبوية في حسن التعامل مع الكون والإنسان جاء تقريره مؤكدًا في مواضع متعددة من كتاب الله تعالى، كقوله جل شأنه:

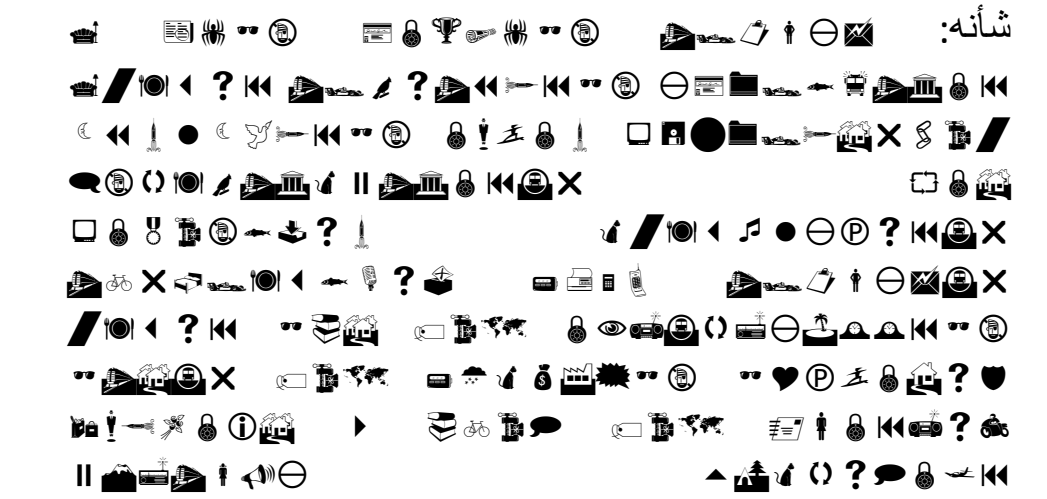

[35]() أخرجه البخاري برقم (6065) ص(1059)، وبرقم(6076) ص(1060)، واللفظ له، ومسلم برقم(2559) ص(112)، وكلاهما عن أنس بن مالك ط.

(36)، وقوله تبارك وتعالى:

(37).

خامسًا: الحث على الإبداع بعظم الأجر والثواب :

حين حث النبي صلى الله عليه وسلم الأمة المسلمة على الإبداع والاجتهاد في الميادين المختلفة، رتّب على ذلك أجرًا وثوابًا في الدنيا والآخرة، ما دام المبدع أو المنتج يبتغي من وراء إبداعه وابتكاراته وجه الله تعالى ورضوانه، ولعل من المفيد الإشارة إلى بعض أنواع هذا الأجر في الدنيا والآخرة:

1 ـ **الفوز برضى الله تعالى وجناته،** قال الله تعالى:
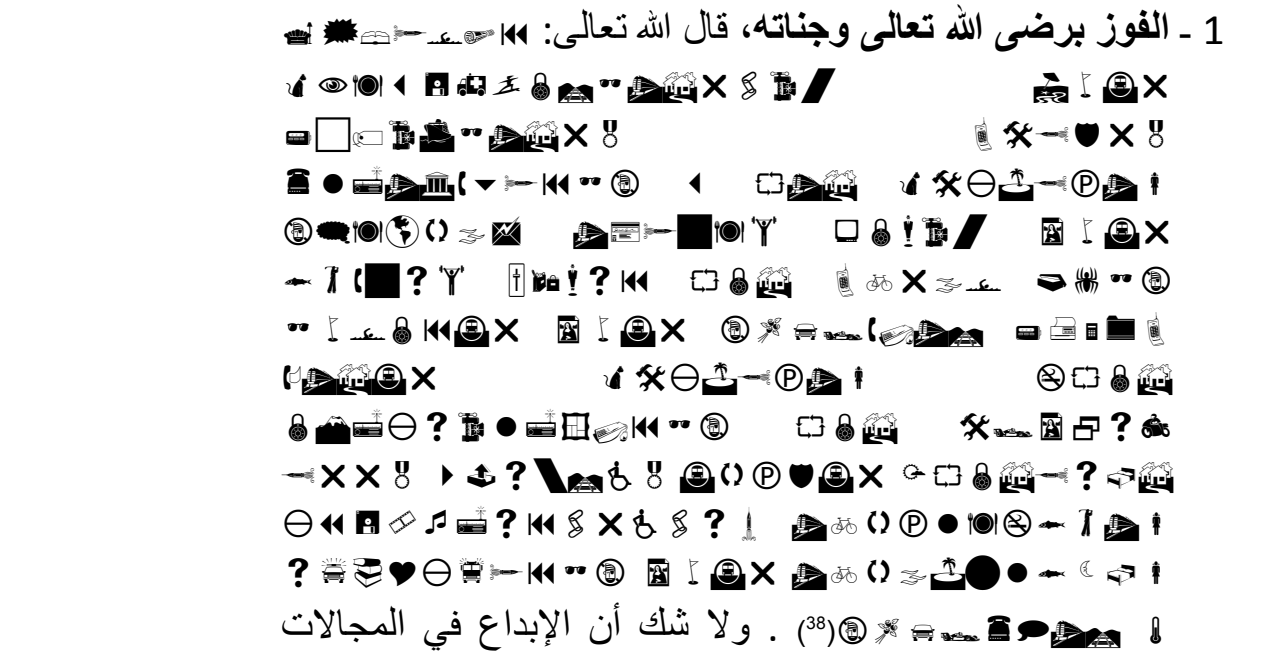
(38) . ولا شك أن الإبداع في المجالات

---

(36) سورة الجاثية، الآيتان 12 - 13.
(37) سورة هود، الآية 61.
(38) سورة النساء، الآيتان 123 - 124.

المباحة وجه من وجوه العمل الصالح الذي حث الشرع عليه.

2 - **أخبر النبي** ﷺ **أن المؤمن المخلص في عمله ويسعى أن يخرج إنتاجه على أحسن صورة،** يفوز بمحبة الله تعالى له، ومن أحبه الله فلا خوف عليه في الدنيا والآخرة، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه»[39].

3 - **إن المبدع يسن في الحياة سنة حسنة،** حين يجتهد ويبدع ويبتكر وينتفع الناس من إبداعاته ومنتجاته، وله بذلك الأجر الكبير والثواب العظيم، ليس في حياته فحسب؛ بل يكتب له ذلك بعد مماته، لأنه قد سنّ سنة حسنة وعملًا صالحًا، سواء كانت هذه السنة أمرًا معنويًا أو ماديًا، نافعًا في الدنيا أو في الآخرة، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء**»[40].

وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»[41].

4 - **الإخلاص في العمل والإبداع فيه،** سبب للعيش الرغيد، لأنه من

---

[39] () أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (4/334)، برقم(5312)، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم(1880).

[40] () أخرجه مسلم، برقم(1017)، ص(410).

[41] () أخرجه مسلم، برقم(2674)، ص(1165).

التقوى والورع، وقد وعد الله المتقين بالخير والبركة العظيمة في كل شؤونهم، بل إنه جلّ وعلا جعل التقوى سببًا للخروج من الأزمات والنوازل، قال أبو ذر ط: كان رسول الله ﷺ يتلو هذه الآية: «

ثم قال: «يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم»[43].

5 ـ **من وجوه الأجر الدنيوي المترتب على الإبداع، أنه يكسب الأمة أسباب التمكين في الأرض**، والقوة والغلبة والنصر على الأعداء، قال الله تعالى:

---

[42] () سورة الطلاق، الآية 2.
[43] () أخرجه أحمد (5/178).
[44] () سورة الأنبياء، الآية 105.

[illegible](45).

وغير ذلك، كثيرة أنواع الأجر والمثوبة المترتبة على الإبداع والابتكار الذي يخدم الإنسان في نفسه ودينه وماله وأمته وسائر شؤون حياته، ما دام ضمن ضوابط الشرع وأحكامه.

☼☼☼☼☼

45() سورة فاطر، الآية 10.

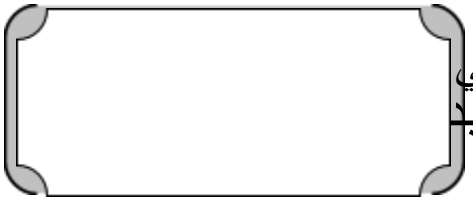

المبحث الثاني
من ميادين الإبداع

مدخل: الإبداع والبدعة في العبادة والموقف منهما:

سبق معنا في مفهوم الإبداع أن هناك فرقًا بين الإبداع والبدعة، فالمفاهيم العقدية والتعبدية توقيفية ثابتة لا تغيير فيها ولا تعديل، والإبداع فيها يعني الاجتهاد في تطبيقها، وهو بذل الجهد قدر المستطاع للقيام بأداء الفرائض والسنن والنوافل التي كان يؤديها النبي صلى الله عليه وسلم، من غير زيادة أو تبديل أو تحريف، كل ذلك ضمن دائرة الطاقة والقدرة، لأن الله لم يكلف الإنسان فوق طاقته، قال الله تعالى: (46)، وقال تعالى: (47)، وقال أيضًا: 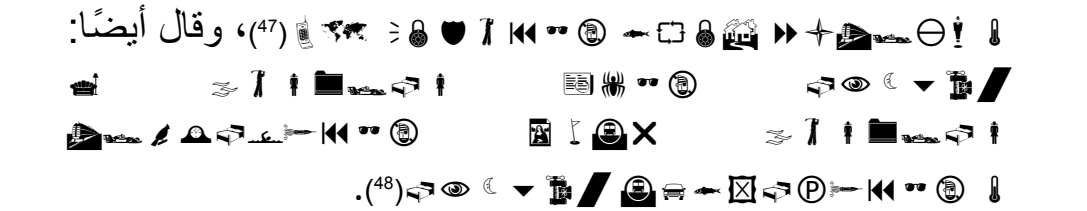 (48).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أنموذجًا عمليًا في الاجتهاد في العبادات،

---

(46) سورة البقرة، الآية 286.
(47) سورة الحج، الآية 78.
(48) سورة البقرة، الآية 185.

فإنه عليه الصلاة والسلام، إضافة إلى أدائه الفرائض والواجبات التي فرضها الله، كانت كل حركاته وسكناته عبادة وطاعة لله، في الليل والنهار، وقد تبعه في ذلك جيل الصحابة رضوان الله عليهم، حيث ضربوا أروع الأمثلة في هذا الجانب.

ولا يمكن حصر العبادات في عمل ما أو مجال محدد، لأن كل ما يبتغي به المسلم وجه الله يدخل في العبادة، ولكن الذي نعنيه هنا هو أداء النوافل، وقراءة القرآن، والدعاء، والذكر، وقيام الليل، وغيرها من السنن المأثورة عن رسول الله ﷺ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعبد ربه حتى تتورم قدماه، روت أم المؤمنين عائشة ك: «أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا»[49].

وبذلك يكون الاجتهاد في أداء العبادة والطاعة رافعًا من شأن صاحبه في الدنيا والآخرة، والتوجيهات النبوية في هذا الباب كثيرة جدًّا، سواء بالقول أو الفعل أو الإقرار، ومنها توجيهه ﷺ للأزواج للتعاون والاجتهاد في العبادة والطاعة، قال عليه الصلاة والسلام: **«رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء»**[50].

---

[49]() أخرجه البخاري برقم(4837) ص(856)، ومسلم، برقم(2820) ص(1227)، وكلاهما عن عائشة ك.

[50]() أخرجه النسائي، برقم(1611)، ص(232)، وأبوداود، برقم(1308) ص(196)، وبرقم(1450) ص(216)، وأحمد برقم (7410) (12/372)، وكلهم عن طريق أبي هريرة ط، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي.

وقال ﷺ في حديث عبد الله بن عمر ط: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل فكان عبد الله ط يصلي من الليل**»[51].

وقد حدّد النبي ﷺ هذا الاجتهاد في العبادة بشرطين مهمَّين لا ينبغي الخروج عنهما:

الأول: أن يكون في حدود الطاقة: قال عليه الصلاة والسلام: «إن الدّين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[52]، وقال في حديث آخر: «عليكم بما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا»[53].

الثاني: أن يكون من غير زيادة أو تبديل أو تحريف على فعل النبي ﷺ، عن أنس بن مالك ط قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[54].

---

[51]() أخرجه البخاري، برقم(112) ص(180)، وبرقم(3739) ص(629 - 630)، ومسلم، برقم(2479)، ص(1091)، كلاهما عن ابن عمر م.

[52]() أخرجه البخاري، برقم(39) ص(9 - 10)، عن أبي هريرة ط.

[53]() أخرجه البخاري، برقم (43) ص(10)، ومسلم، برقم(785) ص(318 - 319) كلاهما عن عائشة ك.

[54]() أخرجه البخاري، برقم (5063 ص(606)، ومسلم، برقم(1401) ص(586)، كلاهما عن طريق أنس بن مالك ط.

لأن الزيادة على فعل النبي ﷺ، وإدخال أمور أخرى في الدين لم يفعله عليه الصلاة والسلام بحجة التقوى والورع والتعبد يدخل الإنسان في البدعة المحظورة لقوله عليه الصلاة والسلام: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[55]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[56].

☼☼☼

نتبين من هذا أن البدعة في الدين محظورة ومرفوضة، أما الإبداع فيكون في مجالات الحياة كلها، وفيما يلي بعض منها:

أولاً: الإبداع العلمي والمعرفي :

إن العلم في الإسلام عام وشامل لجميع العلوم، الشرعية والتجريبية والنظرية، ومنه ما يكون فرض عين ومنه كفاية، وبذلك فإن هذا الإبداع يكون في نوعين من العلوم:

1 ــ الإبداع في العلوم الشرعية :

إن الإبداع في هذا النوع من العلوم فرض كفاية، إذا تخصصت فيه فئة من الأمة سقط الإثم عن الجميع، إلا ما يحتاجه المرء لإقامة دينه، فإن تعلمه واجب على عموم الأمة، مثل أركان الإيمان والإسلام ومعرفة الفرائض وأدائها وغيرها.

---

[55]() أخرجه أبوداود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم(4607) ص(651)، وصححه الألباني.
[56]() سبق تخريجه.

وقد جاء ذكر العلم والعلماء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، من حيث المنزلة والفضل عند الله وعند عباده، قال الله تعالى:

(57).

وقال جل شأنه:

(58)، وقال الله تعالى في شأن العلماء:

(59).

كما أوضحت التوجيهات النبوية هذه المنزلة الرفيعة للعلم والعلماء وطلبة العلم، حيث قال النبي ﷺ: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(60).

---

(57) سورة المجادلة، الآية11.
(58) سورة الزمر، الآية 9.
(59) سورة فاطر، الآية 28.
(60) أخرجه ابن ماجه، برقم (223) ص(34)، وأبوداود، برقم(3641) ص(523)،

وبيان هذا الفضل للعلم والعلماء في التوجيه النبوي فيه دلالة على مدى عناية النبي ﷺ بهذا الجانب المهم في حياة الإنسان، كما أن فيه إشارة واضحة على حثه ﷺ المؤمنين على الإبداع والاجتهاد في العلم الذي يحدد مصير الأمم ومستقبلها في التقدم والتطور.

كما أن التوجيه النبوي أمر بنشر هذا العلم وتناقله من جيل إلى جيل، وحذّر من حجبه عن الناس أو كتمانه، تفاديًا لظهور الجهل والتخلف، وقتل روح الإبداع في المجتمع، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من كتم علمًا ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[61].

وقد تميزت الأمة المسلمة عن غيرها من الأمم، لما قدمت للبشرية من أعداد كبيرة من العلماء في جميع العصور، وفي العلوم الشرعية المختلفة، كالعقيدة والحديث والفقه والأصول وتفسير القرآن الكريم وعلومه، وغيرها، أمثال الإمام مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وسفيان، ومحمد بن الحسن، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وغيرهم، رحمهم الله، من الذين أبدعوا في هذا النوع من العلوم، حيث وضعوا لكل علم ضوابط وقواعد دقيقة لتصل إلى من بعدهم صافية نقية، وآخرون وضعوا أصولًا في كيفية الاجتهاد واستنباط الأحكام من أدلتها الشرعية كما فعل الشافعي حين وضع لأول مرة علم أصول

والترمذي، برقم(2682) ص(608 - 609)، وأحمد برقم (21715) (36/45 – 46)، والدارمي في سننه (1/98)، وكلهم عن أبي الدرداء ط، والحديث حسن لغيره قاله الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (1/17).

[61]() أخرجه الترمذي، برقم(2649) ص(601)، وقال: حديث أبي هريرة حسن، وأبوداود، برقم(3658) ص(525)، وابن ماجه، برقم(265) ص(41) عن أبي سعيد الخدري ط، وبرقم(266) عن أبي هريرة ط، وبرقم(264) ص(41) عن أنس ط، وأحمد، برقم(10487) (16/293)، وبرقم(10597) (16/351)، وكلهم عن طريق أبي هريرة ط.

الفقه، وكلها صور جلية للإبداع والابتكار في ميدان العلم الشرعي، فإبداع العلماء في هذا الميدان واضح وجلي والتفصيل فيه يحتاج إلى بحث مستقل.

ويتخلص الإبداع هنا في عدة مجالات، منها:

أ ـ الاجتهاد في الاستنباط.

ب ـ تقعيد القواعد.

ج ـ تبسيط العلم.

د ـ جمع مسائل متفرقة.

هـ ـ القدرة في الحكم على النوازل وغيرها مما لا يحصر.

2 ــ الإبداع في العلوم التطبيقية والعلوم النظرية الأخرى :

إن هذا النوع من العلوم يشمل العلوم التطبيقية كالفيزياء والرياضيات والفلك والطب والهندسة والأحياء، وكذلك العلوم النظرية كالاجتماع وعلم النفس والفلسفة وغيرها، والإبداع في هذا النوع ضروري للأمة بأسرها ابتداء من أفرادها وأسرها وانتهاء بكيان الأمة وقوتها الاقتصادية والعسكرية والتقنية، والعلوم التطبيقية تحتاج إلى التجربة والاختبار للوصول إلى الحقائق والاكتشافات، التي تخدم الجانب الدنيوي للإنسان.

وقد برع المسلمون في هذه العلوم منذ العصور الأولى وتفوقوا على غيرهم من الأمم في ميادينها المختلفة، والفضل يرجع في ذلك إلى الإسلام الذي حث أتباعه على طلب العلم والمعرفة في شتى

التخصصات، إضافة إلى ما أشار إليه القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى حقائق علمية استفاد منها المسلمون في علومهم التطبيقية.

كما كان للتوجيه النبوي أثر كبير في إبداع المسلمين لهذا النوع من العلوم، فقد وردت أحاديث كثيرة تحث المسلمين على الاغتراف من العلوم المختلفة والاستفادة منها، بالحث على التأمل في الكون، والتفكير في آياته، وما أبحاث الإعجاز في السنة النبوية التي بدأت تظهر بصورة واضحة إلا دليل على ذلك، وقد أظهر الإمام ابن القيم رحمه الله التوجيهات النبوية فيما يتعلق بالجانب الطبي وسمي بالطب النبوي.

ومن المعلوم أن المدرسة الغربية الحديثة اعتمدت على كثير مما ذكره المسلمون في تأسيس العلوم الحديثة كعلم الاجتماع مثلًا، فاعتبر المؤسس له ابن خلدون، وغير ذلك كثير([62]).

ثانيًا: الإبداع المهني والتقني (العمل) :

إن الحديث عن الإبداع المهني والتقني ينتظم في النقاط الآتية:

1 ـ مشروعية العمل والحث عليه :

العمل في الإسلام عبادة، جاء الحث عليه في كتاب الله بشكل عام دون تمييز بين ما يكون للدنيا وما يكون للآخرة، لأن العمل الذي يدعوا إليه الإسلام هو العمل الصالح، سواء الذي يخدم الإنسان في حياته كالسعي في طلب الرزق بالمهن والحرف المختلفة، أو العمل للآخرة

---

[62]() لمزيد من البيان في هذا الباب ينظر كتاب: «معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوربية»، عبد الله ناصح علوان، وكتاب: «الإنسان العربي والحضارة» أنور الرفاعي، وكتاب: «حضارة العرب» غوستاف لوبون.

كأداء الفرائض والعبادات، والإنسان يحاسب على كلا العملين، ويُجزى عليهما، قال الله تعالى: .[63]

إلا أن الفرق يظهر بين العمل الدنيوي والعمل الأخروي، حين ينظر الإنسان إليه بميزان دقيق، فالعمل الدنيوي يكون وسيلة للوصول على تحقيق غاية رفيعة في الحياة، كالذي يعمل معلمًا مثلًا، فإنه يحقق غايتين عظيمتين، الأولى أنه يكسب مالًا لينفقه على نفسه وأهل بيته، ويعين المحتاجين، ومن جانب آخر فإنه يؤدي رسالة عظيمة وهي تعليم الأجيال العلوم والمعارف، ومثل ذلك معظم الأعمال والمهن الأخرى، حيث تتحقق وراء كل مهنة أو عمل مصلحة كبيرة، وبالتالي فإن العمل الدنيوي وسيلة لديمومة الحياة وتسهيل حركة الإنسان، وقد ذكر الله هذه الحقيقة بقوله: 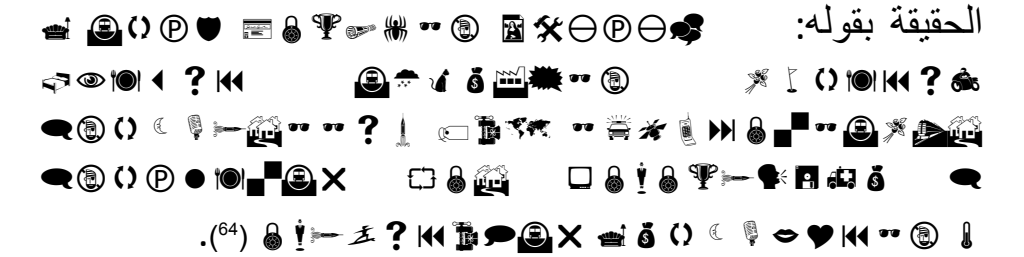 .[64]

---

[63] () سورة التوبة، الآية 105.
[64] () سورة الملك، الآية 15.

وقد حثت التوجيهات النبوية الإنسان على العمل حتى يكون لوجوده معنى، فلا يكون كَلًّا على الآخرين، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «ما أكل أحد طعاما قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»(65).

وعن أنس بن مالك ط: «أن رجلًا من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله فقال: أما في بيتك شيء؟ قال: بلى، حلس، نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء. قال: ائتني بهما. قال: فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال: من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري وقال: اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدومًا فأتني به، فأتاه به، فشد فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده ثم قال: له اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يومًا. فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا. فقال رسول الله ﷺ: هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع»(66).

فالذي يعمل بيده، وينفق على نفسه وعلى أهل بيته، ويقضي حاجاته بما كسبت يده من المال هو إنسان إيجابي مبدع في المجتمع،

---

(65) أخرجه البخاري، برقم (2072) ص(333)، عن المقدام ط.

(66) أخرجه أبوداود، برقم(1641) ص(244)، وابن ماجه، برقم(2198) ص(314 - 315)، وأحمد، برقم(12134) (19/182 - 183). وكلهم عن طريق أنس بن مالك ط. وهذا ـ وإن ضعف بعض أهل العلم إسناده ـ إلا أن المعنى صحيح ويعتضد بشواهد عديدة وقواعد شرعية كما سبق في الحديث الذي قبله.

وخير الطعام ذاك الذي يأكله من هذا السبيل، وهو ما دعى إليه التوجيه النبوي المبارك، وأما الذي يتكاسل ويتململ من السعي والحركة فهو إنسان سلبي وعائق في طريق الإبداع والابتكار، لأنه يتمنى دائمًا أن يقضي الآخرون عنه حاجاته، ويقدموا له ولأسرته الطعام والكسوة، وهو ما نهى عنه التوجيه النبوي الشريف.

2 ــ نوعية العمل :

أما نوعية العمل الذي تحث عليه التوجيهات النبوية فليست مقتصرة على أعمال دون أخرى، فكل عمل مفيد ومشروع ويكتسب الإنسان من ورائه رزقًا لنفسه ولأسرته فهو عمل مبارك، بغض النظر عن نوعيته، فمن الناس من يمتهن بعض الأعمال ويحقروها رغم مشروعيتها وضرورتها في الحياة كمهنة الخياطة والجزارة والنجارة وغيرها، وهي مهن وحرف يحتاج إليها الناس كلهم، ومن يحقر ذلك فإنا يناقض واقعه ويخالف سنة الله في عباده، فالناس كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم، فالخياط الذي يزين الملابس للناس ـ مثلًا ـ أفضل من الرجل الذي لا يعمل ويمد يده وعينه إلى الآخرين، لأن هذا الخياط قد اكتسب رزقًا حلالًا من وراء عمله أولًا، ثم إنه يقدم للناس ما يلبسونه بأحسن هيئة وأفضل مظهر ثانيًا.

إلا أن الشرع وضع لهذا العمل، كما وضع لكثير من سلوكيات الإنسان وتصرفاته في الحياة، ضوابط وشروطًا ينبغي التقيد بها، ومن أهمها:

أ ـ ألا يكون العمل متعارضًا مع نص شرعي من الكتاب والسنة، وألا

يخالف ثوابت الدين، كالذي يصنع الخمور، أو الذي يصنع التماثيل وآلات الموسيقى، وغيرها من الأعمال المحرمة، فكل ذلك لا يدخل في دائرة العمل الذي حثت عليه التوجيهات النبوية.

ب ـ ألا يكون هذا العمل سبيلًا للاعتداء على حقوق الآخرين في أموالهم أو أنفسهم أو أعراضهم، كالقمار أو السرقة أو العمل في الميادين الإعلامية التي تعرض السفور والمجون والمعاصي على الناس ونحو ذلك.

ج ـ ألا يكون هذا العمل مدخلًا لتمزيق المجتمع المسلم، وزرع الأحقاد والفتن بين أبنائه، مثل الذين يقدمون بعض البرامج الإعلامية التي تثير الفتن والأحقاد بين الشعوب المسلمة، وقد كثر هذا النوع من العمل في هذا العصر.

3 ــ الإتقان والتجديد والتطوير في العمل:

إن الإتقان في العمل من أهم دعائم العمل الصالح الذي يسهم في تطوره وتقدمه، والإتقان عند المؤمن ناتج عن إيمانه بالله تعالى وأنه جلّ وعلا يراه في كل أحواله وأزمانه، وهو امتثال لقول النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[67]، وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»[68].

---

[67] () أخرجه البخاري، برقم(50) ص(12)، وبرقم(4777) ص(839)، ومسلم، برقم(8)، ص(24 ـ 25)، وبرقم(9)، ص(25 ـ 26) وكلاهما عن أبي هريرة ط، إلا أن الحديث رقم(8) عند مسلم فإنه برواية ابن عمر م.

[68] () أخرجه مسلم، برقم(1955) ص(873)، برواية شداد بن أوس ط.

والإتقان يعطي صاحبه دافعًا إبداعيًا كبيرًا، لأنه يفتح أمامه أفكارًا جديدة، وآفاقًا أخرى لم تكن متوفرة عنده من قبل، لذا جاء التوجيه النبوي واضحًا بوجوب الإتقان في الأعمال الموكلة إلى الإنسان، فقال ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه»[69].

لأن في الإتقان رضى الله تعالى وأجرًا ومثوبةً، كما أن الناس يرتاحون إلى العمل المتقن الذي فيه الجودة والابتكار والإبداع، فضلًا عن أن الإتقان يوفر على المجتمع وعلى الدولة كثيرًا من النفقات والأموال التي قد تصرف في كثير من مرافقها ومنشآتها إذا عملت خلاف ذلك.

ولعل من أهم أسباب إتقان الإنسان للعمل والإبداع فيه بعد الإيمان بالله والاستعانة به هو اختياره للعمل الذي يميل إليه ويجد نفسه ناجحًا فيه، فمن الناس من يتخوّف من بعض الأعمال ويظن فيها الصعوبة والمشقة، بينما يرى فيها الآخرون المتعة والسعادة، ولذلك يبدعون فيها.

ثم إن التوجيه النبوي الشريف يعلّم المؤمن أنه مأمور بالعمل والسعي والحركة في الحياة، وإن لم يحصل على نتائجه وثمراته المرجوة مباشرة، لأن بعض الأعمال تحتاج إلى وقت طويل، قد يجني ثمراته الأجيال اللاحقة ويستفيدوا منها في العملية الإبداعية والابتكارية، فضلًا عن الأجر والمثوبة عند الله تعالى يوم القيامة، وهذا مضمون حديث رسول الله ﷺ حين قال: «**إن قامت الساعة وبيد**

---

[69]() سبق تخريجه.

أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»([70]).

ثالثًا: الإبداع الاقتصادي :

مما لا شك فيه أن الإسلام بنى منهجًا اقتصاديًا متكاملًا على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، ومن خلال التعامل مع هذا المنهج يبرز الإبداع الكبير في تنمية المال، وفي تصريفه والاستفادة منه، حيث إن كثيرًا من جوانب الحياة وما ينبني عليها تقوم على المال، فالمشروعات الخيرية والإبداع فيها، والصناعات والإبداع فيها، وغيرها، لا تقوم إلا على المال والتفكير السليم، ومن هنا أذكر بعض معالم هذا المنهج:

1 ـ **المال مال الله تعالى، والإنسان مستخلف فيه،** فيجب أن يسير وفق ما شرعه الله من الضوابط في التعامل معه، لقول الله تعالى: [illegible] ([71])، وقوله تعالى: [illegible]

([70]) سبق تخريجه.
([71]) سورة الحديد، الآية 7.

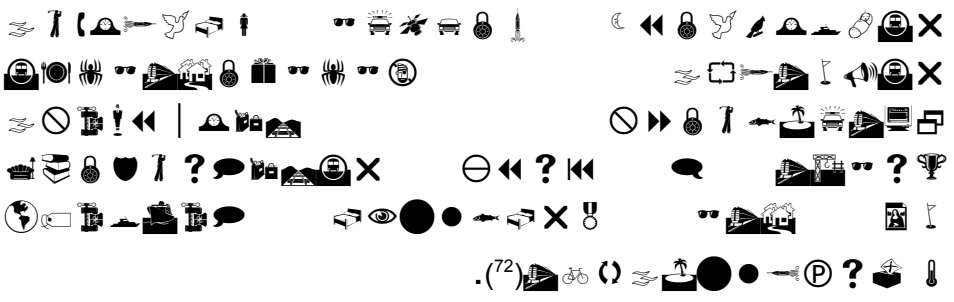

2 ـ **الأصل في التعامل المالي الحل**، ولا يحرم إلا ما دلّ عليه دليل بالتحريم، أو اندرج تحت قاعدة مبنية على دليل، كالربا والضرر والجهالة والمفسدة وغيرها، كما قال الله تعالى:

3 ـ **التوازن في التعامل المالي موارد ومصارف**:

إن التوازن من أهم أساسيات هذا الدين الذي له دور كبير في حركة الكون وحياة الإنسان وشؤونه، وهو مطلب مهم لاستمرار الحياة وبقائها على النمط الذي يريده الله تعالى، وأي خلل في هذا التوازن سيؤدي إلى اضطراب في كثير من الأنظمة التي تحكم العلاقات بين الناس في المجالات المختلفة، والفطرة السليمة تميل إلى هذا التوازن، لأن فيه نوعًا من العدل والمساواة، فكل مخلوق له دوره الذي رسم له ورسالته التي وكّل بها، فلا يأخذ أحد من ملك غيره، ولا

72() سورة البقرة، الآية 30.
73() سورة المائدة، الآية 87.

يتجاوز حدود غيره، وإن حدث شيء من ذلك يعني أن منهج التوازن يتعرض لخطر كبير تتهدد معه حياة الإنسان.

والاقتصاد هو محور مهم في حياة الإنسان وحركته، فمعظم المعاملات بين الناس تقوم على أساس التبادل المالي والمنفعي في البيع والشراء والتجارة والصناعة والزراعة وغيرها، والاقتصاد هو أساس متين للتفوق العلمي والتقني إذا توافرت معه الأسباب المعينة على ذلك، كما أن للاقتصاد أثرًا كبيرًا في إيجاد مظاهر المحبة والتعاون والتراحم بين الناس إذا أدى دوره الصحيح، وبالعكس من ذلك إذا فقد الاقتصاد هذا الدور، فإنه يكون سببًا لمظاهر الكراهية والحقد والتفرقة بين الناس.

وفي جميع الأحوال يرجع سبب نجاح الاقتصاد وفشله في أداء دوره إلى مدى الالتزام بنظام التوازن الاقتصادي الذي أمر الله به عباده في آيات كثيرة، كقوله تبارك وتعالى: 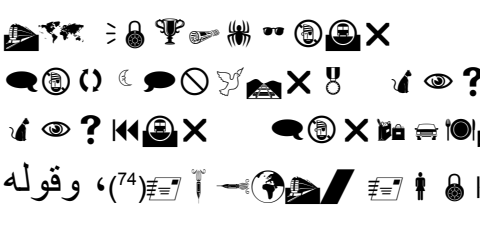 (74)، وقوله تعالى: 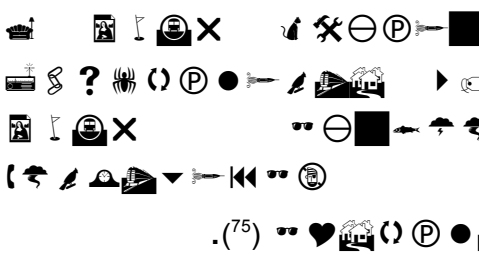 (75).

---

(74) سورة الفرقان، الآية 67.
(75) سورة الإسراء، الآية 29.

فالإسراف يضر بالفرد وبالأمة، حين تصرف الأموال في غير مواضعها، أو تصرف في الأمور التافهة التي لا يستفيد منها الأفراد أو المجتمع أو الأمة، أو حين توضع في المشروعات الاستثمارية الفاشلة، أو حين توضع في أيد غير أمينة، فيصرفها من غير مبالاة، أو ربما تصرف ـ أحيانًا ـ في وجوه الشرِّ ودروب المعصية، وكلها إسراف وهدر للأموال التي جعلها الله وسيلة قوية للإنسان في حياته، لبناء الكون وعمارته ونشر الخير فيه، وقد نهى الله عن هذا التعامل السلبي مع الأموال.

وجاء التوجيه النبوي واضحًا في هذا الباب بقوله ﷺ: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة»(76).

وكذلك فإن الجانب المقابل للإسراف هو التقتير والشح والبخل بهذا المال، حين يكتنز ويتراكم في البنوك والخزائن، فيحرم منه الناس وتحرم منه الأمة بأسرها، ولا يكون له أثر في عملية البناء والتطوير والتعليم وتحسين أحوال الناس، ففي مثل هذه الحال يتعطل دور المال ويؤثر سلبًا على الناس والأمة، وهو الجانب الآخر الذي نهى الله عنه.

لذا؛ فلابد من الاعتدال والتوازن في التعامل مع الاقتصاد والأموال، حتى تتوازن الأمور من جميع النواحي، وتستقيم أحوال الناس من الداخل، فيتم القضاء على أسباب الفقر والكراهية والبغضاء، ومن الخارج تتقوى الأمة وتصارع قوى الشر والعدوان بقوتها الاقتصادية والعسكرية والتقنية.

---

(76) سبق تخريجه.

4 ـ الاقتصاد الفردي:

لقد أباح الله تعالى الملكية الفردية للإنسان بشرط ألا يحدث اعتداء على حقوق الآخرين، قال الله تعالى: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»**[78].

ثم إن ملكية الإنسان في الأرض هي ملكية استخلاف فحسب، لأن الله هو المالك الحقيقي للكون وموجوداته بما فيه الإنسان، ومن أجل ذلك فإن الملكية الفردية التي يتمتع بها الإنسان لها ضوابط شرعية من الله لا يجوز تجاوزها، فقد منح الله تعالى للإنسان حق التصرف في المال والأشياء التي يملكها ضمن قاعدة معلومة هي الاعتدال والتوازن في التصرف في السبل المباحة، فليس للإنسان أن يصرف أمواله في المعاصي والمنكرات، أو في إيذاء الآخرين أو ظلمهم والتعدي على حقوقهم، كما ليس له أن يستثمرها في الحرام، كالتعامل بالربا وغيرها.

إضافة إلى ذلك، أن يكون مصدر هذا المال أو المصلحة أو المصنع أو المتجر حلالًا، لأن المال لحرام لا يدخل في هذا الموضوع، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين**

---

[77] () سورة البقرة، الآية 279.

[78] () أخرجه مسلم، برقم(2564)، ص(1124)، عن أبي هريرة ط.

اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»[79].

وإذا تجاوز الإنسان ضوابط الشرع في صرف الأموال، فإن لولي الأمر الحق أن يحجرها ويتصرف فيها حسب ما تقتضيه مصلحة صاحبها، قال الله تعالى في ذلك: لأن[80] سوء التصرف في المال يرجع بالضرر على الأفراد وعلى الأمة.

وهذا يعني أن مفهوم الملكية الفردية في الإسلام يختلف عن مفهومها في القوانين والأنظمة الأخرى التي تعطي الحرية المطلقة لصاحب المال بالتصرف فيه من غير ضوابط ولا حدود.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا؛ فيرضى لكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم، قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[81].

فهذه التوجيهات الاقتصادية من الهدي النبوي لها دلالات عميقة في بناء شخصية المسلم من الجوانب المالية للاستفادة من المال

---

[79]() أخرجه الترمذي، برقم(2417) ص(550 - 551)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والدارمي في المقدمة (1/135)، وكلاهما عن أبي برزة الأسلمي ط.

[80]() سورة النساء، الآية 5.

[81]() أخرجه مسلم، برقم(1715) ص(761) عن أبي هريرة ط.

وتسخيره في تقوية وجوده الفردي وتقوية البنية الاقتصادية للأمة.

كما أن هذه التوجيهات هي جزء من الدعوة إلى الإبداع الاقتصادي القائم على حسن التصرف بالمال والأشياء ضمن حدود: جلب المنفعة ودرء المفسدة.

5 ـ **الاقتصاد الجماعي**:

وهو ما يعبر عنه بالملكية الجماعية، حيث يشترك فيها كثير من الناس، ولا يجوز الانفراد بها، مثل ملكية الشوارع والمرافق العامة والمستشفيات العامة، وغيرها، والتي تديرها الدولة ممثلة في ولي الأمر ومن ينيبه.

فهذه الملكية هي حق للجميع، لا يحق لأحد أو جهة منع الناس منها، إلا حين تتعارض مع مصالح أكبر منها، وعندها ينظر الحاكم إلى المصلحة العامة والمنفعة الكبرى، فيعوض عنها أو يؤمن غيرها، وقد تطرقت كتب الفقه إلى هذه الحالات كثيرًا، وهي ليست مجال بحثنا.

والتوجيهات النبوية حين أقرَّتْ هذا الحق للجماعة، وحثت الأمة للحفاظ عليه، وعدم التعرض إليه بالتخريب أو سوء الاستخدام، فإنما فتحت المجال أمام أبناء الأمة أن يستفيدوا من هذه المعالم الاقتصادية في عملية البناء والتطوير والإبداع، وإخراج أمتهم إلى حال أفضل، مثلما فعل السلف الصالح الذين حافظوا على الموارد الاقتصادية من الإسراف والضياع، واستفادوا منها في المجالات التي زادتهم قوة وعلمًا، فسادوا العالم وفتحوا البلاد، ودانت لهم الدنيا شرقًا وغربًا.

فالحق العام أو الملكية الجماعية، لا يجوز الإفراط فيها أو التعدي عليها، ومن يحاول ذلك يُمنع ويؤخذ على يديه، كمن يسيء إلى الممتلكات والمرافق العامة، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها،كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**»[82].

ومن زاوية أخرى فإن التوجيهات النبوية قد طرحت بعض المشكلات والعوائق التي تحول دون الإبداع الاقتصادي، وسارعت في علاجها وأمرت بإزالتها ومنعت المسلمين من التعامل معها، وهي كثيرة ومتنوعة، منها:

- الغش الذي نهى عنه النبي ﷺ بقوله: «**من غش فليس مني**»[83].
- الاحتكار الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام: «**لا يحتكر إلا خاطئ**»[84].
- الربا، الذي جاء التوجيه النبوي بحرمته والتحذير منه لما فيه من أضرار عظيمة في الدنيا والآخرة، قال النبي ﷺ: «**وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله**»[85].

---

[82] () أخرجه البخاري، برقم (2493)، عن النعمان بن بشير ط.
[83] () أخرجه مسلم، برقم(102) ص(57 - 58)، عن أبي هريرة ط.
[84] () أخرجه مسلم، برقم(1605) ص(702)، عن معمر بن عبد الله ط.
[85] () أخرجه مسلم، برقم(1218) ص(513 - 516)، عن جابر بن عبد الله ط.

وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا يا رسول الله: وما هن قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(86).

وعن عبد الله قال: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله، قال: قلت: وكاتبه وشاهديه قال: إنما نحدث بما سمعنا»(87).

وغيرها من الأعمال التي فيها اعتداء على المال الخاص والعام، التي من شأنها إحباط العملية الإبداعية وتعطيلها.

رابعًا: الإبداع الأدبي والبياني، **وفيه :**

1 ــ مكانة الأدب في السنة النبوية :

أنزل الله القرآن الكريم باللغة العربية المبينة الواضحة، بأسلوب بلاغي وأدبي أذهل ألباب شعراء العرب وبلغائهم وأدبائهم، فوقفوا عاجزين أمام قوة كلماته وسحر بيانه، مما دفع بكثير منهم لدخول الإسلام، مثل عمر بن الخطاب ط، الذي تذوق بلاغة القرآن حين استمع إلى سورة طه، فأسلم بعدها على الفور، تاركًا الجاهلية وما فيها من أثقال وأغلال، لما كان لآيات القرآن من وقع وأثر في حسه ووجدانه.

وقد تحدى هذا القرآنُ العربَ وشعراءهم وأدباءهم على أن يأتوا

---

(86) أخرجه البخاري، برقم(2766) ص(458)، وبرقم(6857) ص(1182)، ومسلم، برقم(89) ص(53 - 54)، وكلاهما عن أبي هريرة ط.

(87) أخرجه مسلم، برقم(1597) ص(697)، عن عبد الله بن مسعود ط.

بعشر سور من مثله، قال الله تعالى: [88]، ثم تحداهم في موضع آخر أن يأتوا بسورة واحدة من مثله فقال جل وعلا: 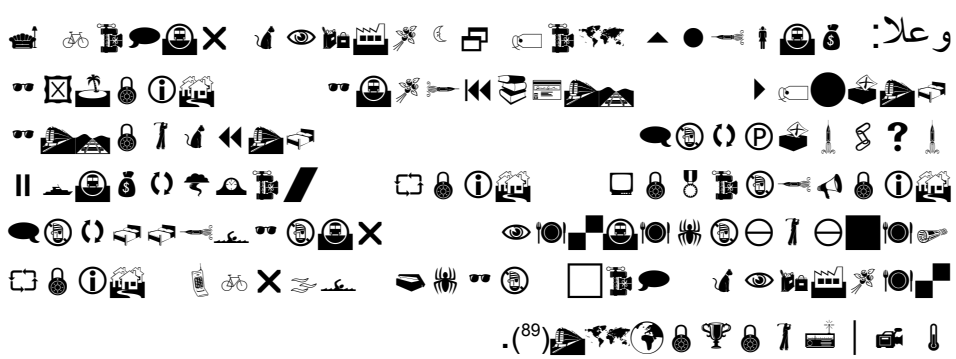 [89].

ولعل قصة الوليد بن المغيرة، الذي ذهب يستمع فيها إلى كلام الله خير شاهد على ما يتصف به القرآن من الجانب الأدبي والبلاغي، وخاصة أنه من البلغاء المعروفين عند العرب، فقال لأصحابه بعد سماعه آيات من القرآن: «والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق (النخلة)، وإن فرعه لجناة»[90].

فقد تذوق هذا العربي الجاهلي الإبداع الأدبي في كتاب الله، وأحس ببلاغته وسحره الأدبي الرائع، ووجد نفسه أمام كلام لا يمكن

---

[88] () سورة هود، الآية 13.
[89] () سورة البقرة، الآية 23.
[90] () السيرة النبوية لابن هشام (1/303)، وذكره ابن كثير في سيرته (1/499) عن ابن عباس ط.

أن يكون من صنع البشر، لقوة بيانه ومتانة أسلوبه ورصانة كلماته، إلا أن كبرياءه، والقومَ من حوله، حالوا دون إسلامه.

وبقي الاهتمام بالأدب بعد نزول القرآن، لأنه خصيصة من خصائص القرآن، فقد حثّ النبي ﷺ على رعاية هذا الجانب في المؤمنين، لأهميته في فهم القرآن وتفسير آياته، فضلًا عن أن الفطرة السليمة، والذوق الرفيع عند العرب يرنوا دائمًا إلى الإبداع الأدبي، فقد روى ابن عمر م أنه: جاء رجلان من المشرق فخطبا فقال النبي ﷺ: «**إن من البيان لسحرا**»[91].

وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يستمع إلى شعر حسان بن ثابت ط، ويأنس به، وأحيانًا يردده.

عَنْ عَائِشَةَ ك أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: اهْجُهُمْ فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أرسلَ إلى حسَّانَ بن ثابتٍ، فَلَمَّا دخلَ عليهِ قَالَ حسَّانُ: قد آنَ لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسدِ الضَّاربِ بذنبه ثم أدْلَعَ لسانه فجعلَ يُحَرِّكُهُ فقال والذي بعثك بالحق لأقرينَّهُمْ بلساني فَرْيَ الأديمِ، فقال رسول الله ﷺ: لا تَعْجَلْ فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإنَّ لي فيهم نسبًا حتى يلخص لك نسبي، فأتاهُ حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد لَخَّصَ لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسُلَنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشَّعرةُ من العَجِينِ قالت عائشةُ: فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول لحسَّانَ إنَّ روحَ القدس لا يزالُ يؤيِّدُكَ

---

[91]() أخرجه البخاري برقم(5146) ص(920)، ورقم(5767) ص(1018)، عن ابن عمر م.

ما نافحْتَ عن الله ورسوله. وقالت سمعتُ رسول الله ﷺ يقول هجاهمْ حسان فشَفَى واشْتَفَى قال حسَّانُ(92):

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ الله فِي ذَاكَ الْـجَزَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا رَسُولَ الله شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

ولا يخفى على أحد في ميدان الأدب بردة كعب بن زهير التي مدح فيها الرسول ﷺ، وعلى إثرها أهدى الرسول ﷺ بردته إليه، حيث قال في مقدمتها(93):

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

ويقول فيها أيضًا:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة، لما أسلموا: زولوا
زالوا، فما زال أنكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل

بل إن النبي ﷺ كان يتفاعل مع الأدب الرفيع الذي يشد من العزائم، ويبث الحب والتعاون بين أصحابه رضوان الله عليهم، فعن أنس ط قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا على الإسْلامِ مَا بَقِينَا أبدَا

والنبي ﷺ يجيبهم ويقول:

اللَّهُمَّ إنَّه لا خَيْرَ إلَّا خَيْرُ فَبَارِكْ في الأنْصَارِ وَالـمُهَاجِرهْ(94)

92() أخرجه مسلم، برقم(2490) ص(1095 - 1096)، عن عائشة ك.
93() السيرة النبوية لابن هشام (4/146 - 152).
94() أخرجه البخاري برقم(2835)، ومسلم برقم(1805) ص(806)، وكلاهما عن أنس ط.

الاخِرَة

ومختصر القول في هذا الباب، أن الأدب له مكانة في السنة النبوية، وأنه ﷺ كان يحب سماع حسان بن ثابت وزهير بن كعب م، كما أن كثيرًا من الصحابة كانوا يستخدمون أبياتًا من الشعر في المواقف التي تقتضيه، ومن أولئك أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ن، فقد كانوا من البلغاء المعروفين بين الصحابة، ولهم خطب وكلام في هذا المجال.

2 ـ الإبداع الأدبي الحقيقي وغيره:

يمكن توضيح ذلك بما يلي :

- **الإبداع الأدبي الحقيقي هو الذي يخرج من أعماق النفس**، ويعبر عن أحداث ومعاناة حقيقية، بل إنه يعبر عن مكامن النفس وأشواقها وتطلعاتها الراقية، بخلاف الإبداع الرديء الذي لا يخرج عن دائرة الأهواء والشهوات والملذات، ومن هنا فإن الذي يحدد طبيعة الإبداع الأدبي هو البلاغة الأدبية وما فيها من أسلوب وبيان ومجاز، وكذلك الموضوع الذي تحيكه هذه البلاغة ويدور حوله الأسلوب الأدبي، وقد كان ذلك واضحًا بين حال الأدب في الجاهلية وحاله بعد البعثة، فقد تغيرت المفاهيم والتصورات، وانتقل الناس من حياة اللهو والخمر والسمر، إلى حياة جديدة فيها رسالة وغاية، فانتقل الأدب العربي من حضيض الجاهلية إلى رفعة الإسلام وسموه، فبدل أن يلقي الشاعر معلقة كاملة في وصف غانية، أو صخرة، أو دابة، صار يعبّر بأسلوب أدبي قوي عن حقيقة الحياة والكون والإنسان، وعلاقة ذلك بالإيمان بالله تعالى، والغاية من وجوده، فبشار بن

عدي بن عمرو الطائي غيّر من مضمون شعره بعد أن دخل الإسلام، وأصبح لشعره معان إنسانية سامية، وقيم دينية رفيعة، وعبّر بنفسه عن هذا الانقلاب بقوله:

تركت الشعر واستبدلت منه كتاب الله ليس له شريك
وودعت المدامة والندامى إذا داعى منادي الصبح ديك

وما قيل عن الشعر في هذا الباب يُقال عن غيره من التخصصات الأدبية الأخرى كالقصة والرواية والمقالة والمسرح وغيرها مما يدخل في دائرة الأدب العربي.

لذا، فالفرق كبير بين أولئك يسخرون أقلامهم، وأوقاتهم، ومهاراتهم الأدبية، في الكتابة عن الهوى والغواني والسكر والسمر، وبين الذين يسخرون تلك الأدوات والملكات في سبيل إيصال دعوة الله إلى الناس، وبث القيم والفضائل في العالمين، شتان بين الفريقين، وهيهات أن يلبس الفريق الأول ثوب الإبداع الأدبي، إذ كيف يكون إبداعًا أدبيًا وقد انسلخ من محور الإبداع الرئيس الذي هو عنصر الفضيلة؟!

- **الإبداع الأدبي الحقيقي هو الإبداع الهادف الذي يعالج القضايا المصيرية للناس،** سواء كانت أخلاقية أو اجتماعية أو دينية، أما الأدب المخالف فليس له من ذلك نصيب، وإنما الغاية الأولى والأخيرة هو إشباع الغرائز وإثارة الشهوات، واتباع لهوى النفس ورغباتها.
- **ومن هنا كان لابد من بعث جديد للإبداع الأدبي الحقيقي الذي حثت عليه التوجيهات النبوية،** والذي كان يؤدي دورًا مهمًا في حياة

المسلمين في عصورهم الأولى، وبخاصة أدب السنة النبوية في جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام، وفي الأمثال النبوية، والقصص والتشبيهات وغيرها، وقد ظهر نوع من هذا الإبداع في هذا العصر ولكنه ضعيف إذا قيس بالتحدي الأدبي الهابط الذي يجتاح الساحة الإعلامية المعاصرة.

3 ــ أثر الإبداع الأدبي في نهضة الشعوب ونصرتها:

كان للإبداع الأدبي، ولا يزال، أثر كبير في نهضة الشعوب وتقدمها، والسير بها من نصر إلى آخر، فقد كان الشاعر في القبيلة هو المنبر الإعلامي لها، يصف القبيلة بمحاسن الأخلاق والكرم والشجاعة والإيثار، وكان لهذه الأوصاف أثر في أفراد القبيلة نفسها، خاصة إذا انتشر ذلك بين القبائل، إضافة إلى دوره الكبير أثناء الحروب والغزوات، فهو الذي يبث روح الإقدام والشجاعة في نفوس أبناء قبيلته ليقدموا على الموت دون تراجع ولا خوف، كما قال أحدهم:

بأنا نورد الرايات بيضًا ونصدرهن حمرًا قد روينا

لذا؛ كانت القبيلة تفتخر لوجود بعض الشعراء الأفذاذ بينها، لأنهم الصوت الإعلامي الذي يوصل أخبار القبيلة ومناقبها إلى سائر القبائل.

وقد بقي للأدب هذا الدور بعد البعثة النبوية، إلا أنه لم يكن على تلك الدرجة من القوة لتحريك الشعوب والجيوش نحو الأمام، لأنه ظهر شيء آخر أقوى وأكبر من الشعر وهو الوحي وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان له أثر كبير في نفوس الصحابة ن وسلوكهم

وتصوراتهم، فأول ما يسمع أحدهم آيةً أو حديثًا سرعان ما يترجمها إلى واقع عملي، والأمثلة والحوادث كثيرة في هذا الباب.

إلا أن الأدب بقي له دور في بث الشجاعة والإقدام والثبات عند المسلمين في المعركة، فهذا عبد الله بن رواحة وهو مقبل على الشهادة في غزوة مؤتة يقول[95]:

يا حبّذا الجنة واقترابها طيّبة وباردًا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرةٌ بعيدة أنسابها
عليّ إذْ لاقيتُها ضرابُها

وهكذا يؤدي الإبداع الأدبي دوره الحقيقي في نهضة الشعوب وفي تقدمها الفكري والاجتماعي والاقتصادي والعسكري، إذا وجّه الوجهة الصحيحة، وساقه الأدباء المبدعون نحو تحقيق المنافع الحقيقية للناس، وذلك بطرح مشكلاتهم وحوائجهم ورغباتهم والعلاجات المناسبة لها، شعرًا أو نثرًا أو قصة أو رواية، وفق تعاليم الإسلام وأحكامه ومبادئه.

أما إذا استخدم الأدب لعرض المشكلات وإثارة الفتن بين الناس، وقرع الأبواب المحظورة التي تنافي الأخلاق والآداب والقيم، فإنه يصبح أداة هدم وتفرقة، يهوي بالشعوب إلى مستنقعات التخلف بدل أن يرفعها إلى مدارج الرفعة والتقدم.

خامسًا: الإبداع الفكري، **وفيه :**

1 ــ مكانة الفكر، وتنميته في السنة النبوية :

لقد كرم الله تعالى الإنسان، حين خلقه من طين، ثم نفخ فيه من

---

[95]() السيرة النبوية لابن هشام (4/12).

روحه، ثم أمر الملائكة بالسجود له، قال الله تعالى:

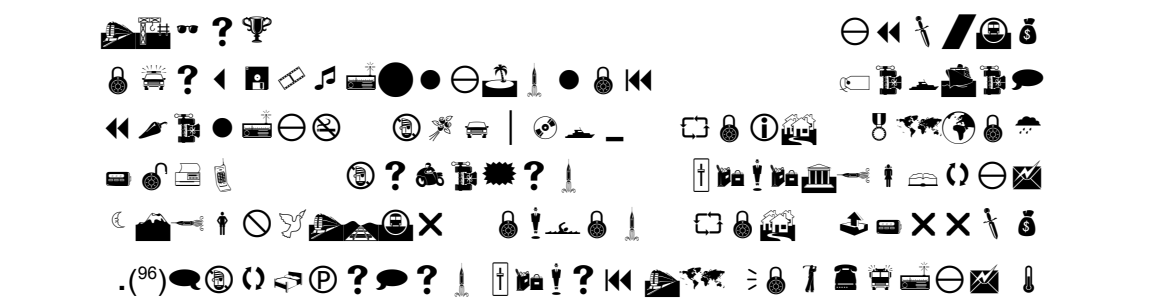

(96).

وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى:

(97).

وهذا التكريم لم يكن على المادة التي خلق منها الإنسان فحسب، وإنما كان تكريمًا للعقل والفكر والإرادة والمشاعر التي يتميز بها الإنسان عن سائر الخلق، وقد جاءت إشارات كثيرة في كتاب الله تؤكد هذا المعنى، وترفع من شأن الذين يستخدمون نعمة العقل والفكر بالشكل الصحيح، بل إن القرآن يحث الناس بالتفكر والتدبر في الآيات والآلاء الكثيرة التي تحيط بهم للوصول إلى الحق والهدى، قال الله تعالى:

---

(96) سورة ص، الآيتان 71 - 72.
(97) سورة الإسراء، الآية 70.

المبحث الثاني: من ميادين الإبداع

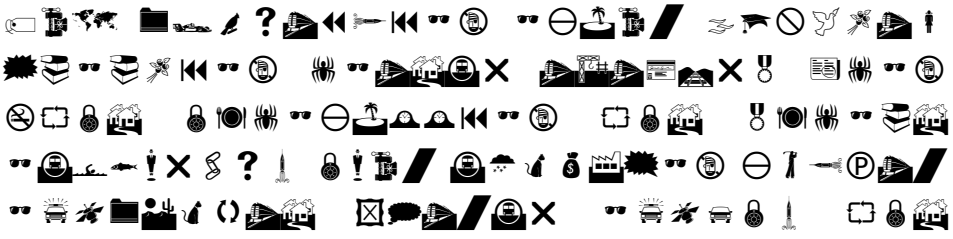

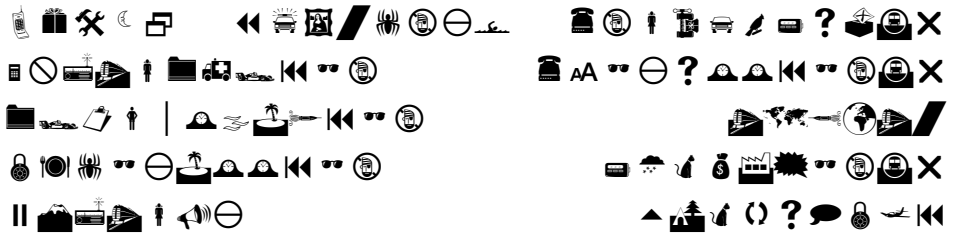

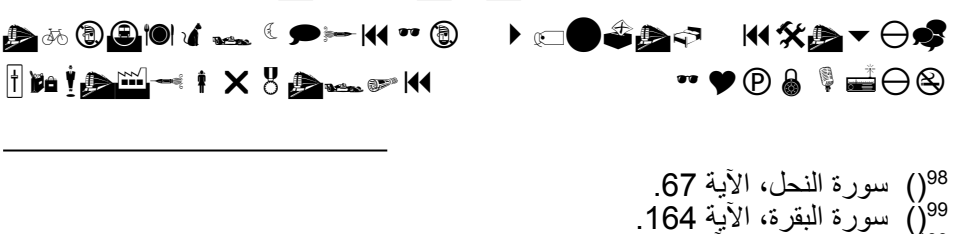

---

(98) سورة النحل، الآية 67.
(99) سورة البقرة، الآية 164.
(100) سورة يونس، الآية 24.

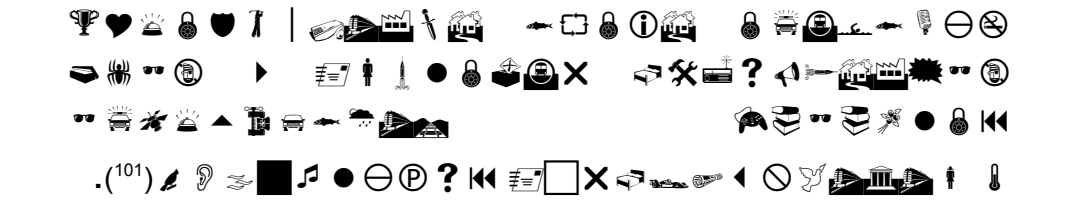

فهذه الآيات وغيرها كثيرة، تعطي مكانة عالية لعقل الإنسان وفكره، وتحثه على استخدامه بالصورة الصحيحة.

ثم جاءت التوجيهات النبوية، لتؤكد هذه الحقيقة للناس، لأهميتها وأثرها الكبير في تحديد مسارهم في الحياة، لأن الإنسان حين يسيء استخدام العقل والفكر، فإنه يقتل أهم نعمة أودعها الله في نفسه، وبالتالي يخرج عن دائرة البشرية والإنسانية إلى عوالم أخرى، قال الله تعالى:

فحرصًا من النبي ﷺ على أمته، وخشية ألا تتحول أمانيهم وآمالهم في الحياة إلى مجرد التمتع بزخرف الدنيا واتباع الشهوات،

---

(101) سورة الحشر، الآية 21.
(102) سورة الأعراف، الآية 179.

جاءت توجيهاته ﷺ للمؤمن بأن يكون على مستوى كبير من الفهم والدراية بحقائق الحياة، حيث أرست مجموعة من المبادئ الواضحة للحفاظ على أداة التفكير والتمييز عند الإنسان وهو العقل، ومن ذلك النهي عن التشاؤم والتطير من بعض الأشكال والمخلوقات وبعض الأزمنة والأمكنة، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**»[103].

كما جاءت هذه التوجيهات النبوية، التي رفعت من شان الفكر الإنساني، لتوضح للإنسان أن العقل والفكر من النعم الكبرى التي يتحرك من خلالها الإنسان، وينبغي حمايتها مما يهددها من أخطار على أيدي الكهنة والمشعوذين والسحرة، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**من أتى عرّافًا فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة**»[104].

وتؤكد هذه التوجيهات النبوية على مدى اهتمام النبي ﷺ وعنايته بالفكر وتنمية المهارات فيه، والحفاظ عليه من العوامل والمؤثرات التي تعطله وتحيده عن الصراط السوي.

2 ــ مبدأ الاجتهاد:

الاجتهاد في المصطلح الشرعي، كما عرّفه ابن قدامة: بذل الجهد في العلم بأحكام الشرع[105]. وقد أقر الإسلام هذا المبدأ العظيم بصورة عامة منذ عصره الأول، فقد اجتهد النبي ﷺ في بعض الأمور، كاجتهاده عليه الصلاة والسلام في الإذن للذين تخلفوا عن

---

[103]() أخرجه البخاري، برقم(5757) ص(1016)، عن أبي هريرة ط.
[104]() أخرجه مسلم، برقم(2230) ص(990) عن صفية ك.
[105]() روضة الناظر، ص(190).

غزوة تبوك وقدموا الأعذار، إلا أن الله بيّن الحق في ذلك بقوله: [106]، وكذلك اجتهاده في غزوة بدر حين أقاموا في موطن، ثم أشار عليه أحد الصحابة ـ بعد أن علم أنه اجتهاد وليس أمرًا إلهيًّا ـ أن ينتقل من هذا المكان إلى بئر بدر.

وكما حدث الاجتهاد بين الصحابة أنفسهم في زمن النبي ﷺ في مواقف كثيرة، وأقرهم النبي ﷺ على ذلك، فعن نافع عن ابن عمر قال: «قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا، ذلك فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم»[107].

ويعدّ إقرار مبدأ الاجتهاد في هذه التوجيهات النبوية نوعًا من الإبداع في التفكير، وحثًّا للمؤمنين على استخدام العقل واستنباط الأحكام من الأدلة الشرعية ووضعها في مكانها المناسب في الحوادث والمواقف التي ليس فيها نص شرعي، بحيث يبقى هذا الاجتهاد ضمن إطار عام وضوابط لابد من تحققها، كما فصّل ذلك علماء أصول الفقه رحمهم الله.

3 ــ حدود الفكر وضوابطه :

---

[106] سورة التوبة، الآية 43.
[107] أخرجه البخاري، برقم(946) ص(152) عن ابن عمر م.

مهما بلغ الإنسان من الإبداع الفكري، وتوسع في مجالاته المختلفة إلا أنه يبقى مقيدًا ببعض الضوابط والأحكام، التي تحميه من الزيغ والانحراف، لأن الحرية الفكرية المطلقة تؤدي إلى التدخل في كل شيء ومناقشته، وبالتالي قبوله أو رفضه، وهذا يخالف كثيرًا من السنن والثوابت الموجودة في الحياة، لأن الفكر لا يدرك كل شيء، ولا يستطيع الوصول إلى كل شيء، ومجاله محدود لا يمكن أن يتجاوزه بطاقته المحدودة، فهذا الكون الواسع الذي يمتد إلى ما شاء الله يحتوي على العجائب والغرائب، وفيه من الكواكب والنجوم والأقمار ما لا يعلمها إلا الله، ويكتنفه كثير من الأسرار والمجاهيل، وغير ذلك من العوالم والأمم من المخلوقات، لذا لا يمكن للفكر الإنساني أن يحيط بذلك كله، لذا، وضع الإسلام لهذا الفكر سياجًا يحميه ويحفظه من الانحراف عن جادة الحق.

ومن أهم هذه الضوابط :

1 ـ **عدم التفكر في الذات الإلهية،** أو الخوض والجدال فيها تفاديًا للانحراف، أو وضع التصورات التي لا تليق بجلال الله وعظمته، والله تعالى يقول: [illegible] [108] فالموقف الصحيح من ذات الله تعالى إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، من غير تشبيه، ولا تكييف، ولا تعطيل.

2 ـ **لا يجوز للفكر أن يتجاوز حدوده ليناقش ركنًا من أركان الإيمان،**

---

[108] () سورة الشورى، الآية 11.

من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، أو أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج. فهذه أمور قطعية من الدين لا يختلف فيها أحد، ولا يجوز الجدال فيها.

3 ـ **ليس للفكر أن يتدخل في أمور الحلال والحرام المنصوص عليها صراحة من الكتاب والسنة،** كأن يحلل حرامًا، أو يحرم حلالًا، بالجدال والمناقشة، وذلك بتقديم حجة العقل على النقل في بعض الأمور.

4 ـ **كما لا يحق للفكر أن يخالف أمرًا أجمع عليه علماء الأمة،** من أهل العلم سواء كانوا من الصحابة أو التابعين أو من بعدهم، قال عبد الله بن مسعود ط: «فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيء»([109]).

وما خلا ذلك من المجالات الفرعية في الأمور الدينية أو الدنيوية فللفكر حرية في خوضها والإبداع فيها، بالشروط والضوابط العلمية، وقد حث الإسلام على ذلك، حتى يقدم لنفسه ولمجتمعه وأمته أفضل السبل والأدوات التي تعينهم على تطبيق تعاليم دينهم وتسهيل سبل معاشهم وحياتهم([110]).

سادسًا: الإبداع في بناء الشخصية الشمولية:

من أجل أن تكتمل شخصية المسلم الإبداعية، حثت التوجيهات

---

[109]() أخرجه أحمد، برقم(3600) (6/84)، برواية عبد الله بن مسعود طن وقال الشيخ الأرنؤوط: إسناده حسن.

[110]() مما ينبغي علمه أن البحث إذا كان في الأحكام الشرعية فهناك تفصيلات في مسائل الاجتهاد فيه، ومن هو المجتهد، ومتى يكون... إلخ، ذكرها علماء أصول الفقه ولا يتسع المجال لتفصيلها، والمقصود هنا بيان إبداع العالم المجتهد في هذا المجال وليس كل أحد.

النبوية على بناء هذه الشخصية بناءً شموليًا يمثل القوة العقلية والفكرية، كما في قوله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان**»(111).

وجاء توجيه نبوي آخر في ممارسة ما يقوي الجسم والبدن، من السباق بالجري أو على الخيول أو تدريب على السلاح، وغير ذلك من الممارسات الرياضية، قال عليه الصلاة والسلام: «لا سبق إلا في خفّ، أو حافر، أو نصل»(112).

وجاء عن النبي ﷺ أنه تلا قوله تعالى: ﴿ ﴾ ثم قال: «**ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»(113).

كما تمثَّل التوجيه النبوي المبارك بالحث على القوة الجسمية وممارسة التدريبات الرياضية والعسكرية في قصته مع عائشة ك، قالت عائشة ك: خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: «**تقدموا**» فتقدموا ثم قال:

---

(111) أخرجه مسلم، برقم(2664) ص(1161)، عن أبي هريرة ط.

(112) أخرجه أبوداود، برقم(2574) ص(373)، وابن ماجه، برقم(2878 ص(416)، والنسائي، برقم(3615)، برقم (3616)، وبرقم(3617) بلفظ: «لا يحل» وبرقم(3619) ص(506)، وأحمد، برقم(10138) (16/129)، كلهم عن أبي هريرة ط، بإسناد صحيح.

(113) أخرجه مسلم، برقم(1917) ص(857)، عن عقبة بن عامر ط.

«**تعالي حتى أسابقك**» فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى حملت اللحم، وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس «**تقدموا**» ثم قال: «**تعالي أسابقك**» فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: «**هذه بتلك**»([114]).

وقد أذن النبي ﷺ للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده، وأذن لعائشة ك أن تنظر إليهم([115]).

وبهذه الصورة، فإن التوجيهات النبوية المباركة، دعت وحثت على تقوية جانب بناء الشخصية والإبداع فيه، من أجل مواجهة التحديات المختلفة في كل زمان ومكان، ومن أجل أن تسير قافلة الدعوة إلى الله بأمان في جميع الاتجاهات، وينتشر الخير والعدل والرحمة في أرجاء المعمورة.

☼☼☼☼☼

---

[114]() أخرجه أبوداود، برقم(2578) ص(371) عن عائشة ك، بإسناد صحيح، وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح، برقم(3251) ص(971).

[115]() أخرجه البخاري، برقم(5190) ص(927)، ومسلم، برقم(892) ص(357)، كلاهما عن عائشة ك.

المب
ضوابط سلامة الإبدا

أولاً: الضوابط :

كما أن لكل عمل في حياة المؤمن ضوابط وأحكام، فإن للإبداع ضوابط وحدود لا بد من العمل ضمنها، وعدم الخروج عن دائرتها، ومن أهم هذه الضوابط والأحكام:

1- **ألا يكون الإبداع فيما علم من الدين بالضرورة**، أو فيما أجمعت عليه الأئمة، أو استقر حكمه حلًا أو حرمة، مثل الاجتهاد في أركان الإسلام والزيادة فيها أو إنقاض بعض واجباتها، كالزيادة في عدد ركعات الصلاة، أو تبديل وقت الصيام من رمضان إلى غيره من الشهور.

كما لا يجوز أن يكون الإبداع زيادة على ما جاء به النبي ﷺ من النوافل، وإدخالها في الدين والتعبد بها، فإن ذلك يعدّ من البدعة المنهي عنها وليس من الإبداع المحمود والمطلوب، فقد جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ

إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[116].

2 ـ **ألا يكون الإبداع في الأمور المحرمة**، التي نص عليها الشرع، كالإبداع في الأدب الذي يستخدم للغناء والغزل والسفور وإيثارة الشهوات، أو الابتكار في تصنيع الخمور من الفواكه المختلفة، وغيرها.

3 ـ **ألا تكون وسائل البدع وآلياته مخالفة للشرع**، وإن كانت الغاية مشروعة، كالذي يتعامل بالربا لتكوين اقتصاد قوي لديه، يساعد به الفقراء والمحتاجين، فهذا لغط في مفهوم الإبداع، لأن الغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة.

4 ـ **أن يحمل الإبداع هدفًا وغاية إنسانية نبيلة**، يرجع بالفائدة على صاحبه أو مجتمعه أو أمته، أما إذا استخدم هذا الإبداع لأغراض غير إنسانية، وفيه ظلم للناس وتعدٍّ على دمائهم وحقوقهم وخيراتهم وأمنهم، فإنه يخرج عن مفهوم الإبداع، مثل الصناعات الضارة في المجالات النووية إلا إذا أمكن الاستفادة منها، لتحقيق السعادة للإنسان في بعض جوانب حياته، كالاستفادة منها في كشف بعض الأمراض، وصنع العقاقير، أو في الطاقة والكهرباء وغيرها، أما استخدامها من أجل الحروب وإبادة الناس وحرق أموالهم، وتلويث أجوائهم، وممتلكاتهم، فإنه ظلم وعدوان، وليس ابتكار وإبداع.

---

[116]() أخرجه البخاري، برقم(5063) ص(906)، ومسلم، برقم(1401) ص(586)، كلاهما عن طريق أنس بن مالك ط.

ثانيًا: الآثار والفوائد:

إذا تُوّج الإبداع بهذه الضوابط العامة، وتحرك صاحبها ضمن الحدود التي رسمها الشارع له، فإنه يكلل بآثار وثمرات عظيمة على الفرد والمجتمع والأمة، ومن أهم ثمرات هذه الضوابط:

1 - **إن العملية الإبداعية التي تلتزم بالضوابط الشرعية يثاب عليها صاحبها،** لأنها لون من ألوان العبودية لله، فكل عمل نافع وخيِّر يقدمه المسلم لنفسه، أو أبناء أمته، مع مراعاة حقوق الله وحقوق العباد، فإنه يعدّ عبادة وطاعة لله، وفق معنى العبادة بأنها كل عمل يبتغي به الإنسان وجه الله تعالى، لقول النبي ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء**»([117]).

2 - **الإبداع والابتكار يصنع بيئة من التنافس المشروع بين أبناء المجتمع،** وهو يدخل في دائرة التسابق في الخيرات، البعيدة عن الحسد والحقد الذي حثّ عليه القرآن في قوله تعالى:

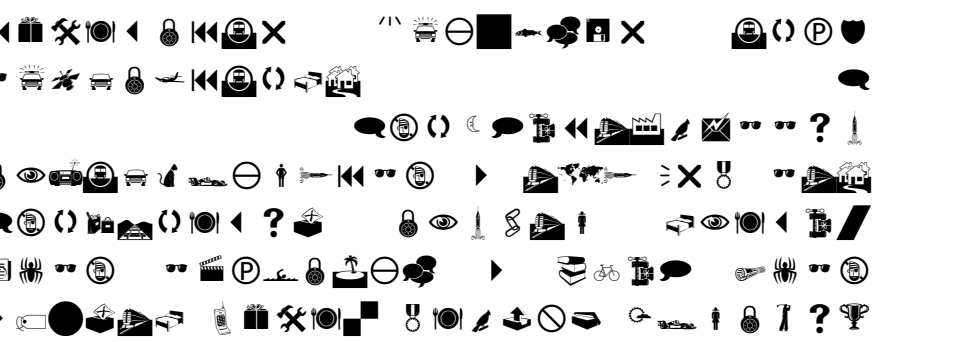

[117]() سبق تخريجه.

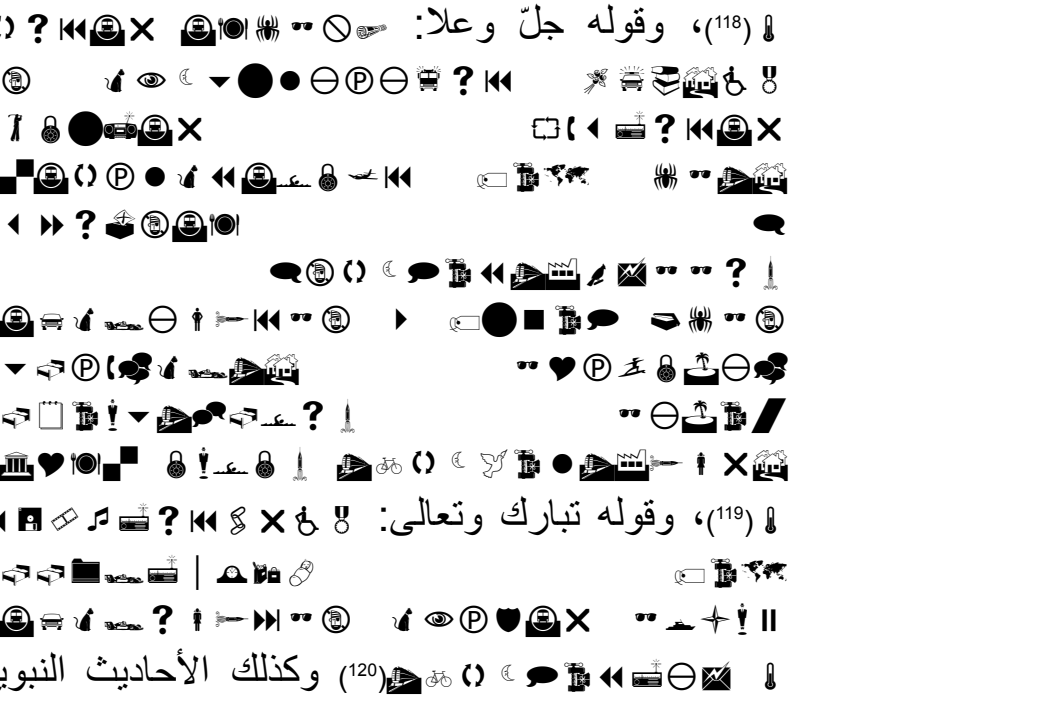

وقوله جلّ وعلا: [118]، وكذلك الأحاديث النبوية، مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا»[121].

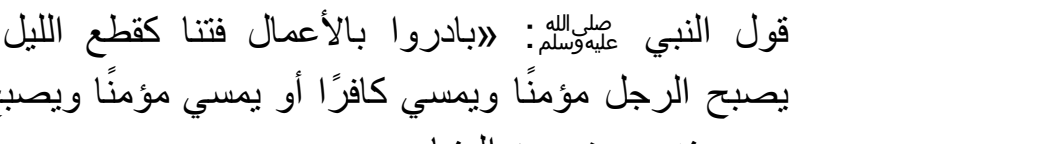

وقوله تبارك وتعالى: [119]

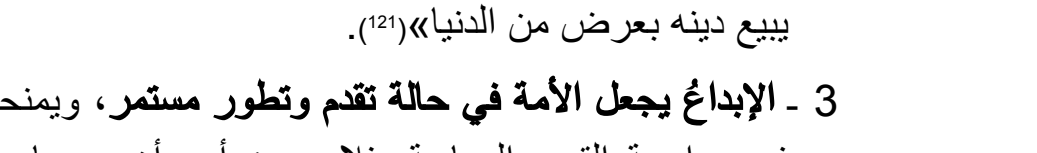

[120]

3 ـ **الإبداعُ يجعل الأمة في حالة تقدم وتطور مستمر**، ويمنحها القوة في مواجهة القوى المعادية، فلا يجرؤ أحد أن يمسها بسوء أو أذى، لأن لديها الإمكانية في الرد والدفاع عن نفسها.

4 ـ **توحيد الجهود يؤدي إلى توحيد الكلمة**، فالإبداع غالبًا ما يكون بتعاضد الجهود، وتعاون أكثر من جهة، لإخراج عمل أو مشروع

---

[118] () سورة البقرة، الآية 148.
[119] () سورة المائدة، الآية 48.
[120] () سورة المؤمنون، الآية 61.
[121] () أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، برقم(118) ص(83).

أو تقنية بأحسن صورة وأفضل أداء، الأمر الذي يؤدي إلى توحيد الكلمة وتقوية الصف والمجتمع، بل إن المجتمع الذي لا يسوده روح الوحدة والتعاون والتماسك لا يمكن أن يبدع أو يتقدم خطوة إلى الأمام، وقد نبّه الله تعالى إلى هذا الأمر المهم بقوله: ﷻ

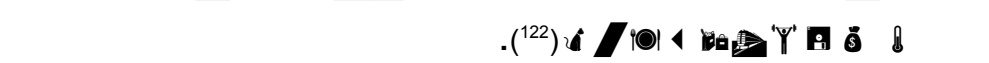

.([122])

5 ـ **من أهم ثمرات الإبداع ظهور معالم الإتقان والجودة والمصداقية في العلوم والمعارف،** والمنتجات والمصنوعات، وفي القوة العسكرية والاقتصادية، وغيرها من الميادين المختلفة.

6 ـ **التكامل في الإنتاج، سواء كان إنتاجًا علميًا أو صناعيًا أو غيرها،** فهذا مبدع في التفسير وآخر في الحديث، والثالث في الطب وهكذا، كما ربّى النبي ﷺ أصحابه ن، فَزَيْدٌ فَرَضي، ومعاذٌ فقيه، وعليٌّ مستشار وحكيم، وغيرهم ن وهكذا، فنشأ جيل فريد متكامل، فتح الأمصار، ونشر الإسلام.

7 ـ **دفع الضرر عن الناس، لأن الله الذي أنزل الشرع على عباده بأحكامه وتشريعاته،** جعلها تدور لتحقيق المصالح لهم، سواء كانت هذه المصالح في الدنيا أو في الآخرة، فأما ما يظهر منها على الواقع في الدنيا فيستفيد منها الناس في شؤونهم وأحوالهم، وأما ما خفي منها فتكون ذخرًا له يوم القيامة، ووفق هذا المبدأ تتحقق العدالة لجميع الناس، فلا يعتدي أحد على آخر بحجة أنه

---

[122]() سورة الأنفال، الآية 46.

يقدم منفعة أو فائدة لمجتمعه وأمته، فحقوق الناس مصانة، وكما سبق ذكره، فإن الغاية لا تبرر الوسيلة، بخلاف بعض القوانين الوضعية التي ترهق الناس وتعتدي على حقوقهم ومصالحهم بحجة أن هذا الإبداع أو الاختراع فيه منفعة عامة للأمة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب: «**لا ضرر ولا ضرار**»[123].

[123]() أخرجه ابن ماجه، برقم(2340)، ص(335)، وصححه الألباني، وأحمد (1/313)، ومالك، برقم(1234)، كتاب الأقضية، باب القضاء في المرفق.

سمات المبدع، وعو

أولاً: سمات المبدع :

ثمة سمات وصفات لابد من توافرها في الإنسان حتى يصنّف في زمرة المبدعين، من أهم هذه السمات:

1 ـ **الإيمان بالله، وهو أساس كل أمر أو عمل أو حركة في الحياة،** والإبداع الذي يصدر من المؤمن إبداع حقيقي، لأنه يحتوي على ركنين أساسيين، الأول: أنه يبتغي من هذا الإبداع أو الابتكار رضوان الله الذي أمره بالسعي والحركة من أجل عمارة الكون ونشر الخير والعدل والفضيلة، لأنه خليفة الله في الأرض، لقول الله تعالى: [illegible] والثاني: أن الإبداع الذي يستند إلى الإيمان بالله يكون ذا بعد إنساني وأخلاقي، والنصوص النبوية أكثر من أن تحصر في ضرورة استناد المنتج الإبداعي إلى الإيمان بالله لكي لا يزل يمينًا أو يسارًا، فينحرف عن مساره، والمبدعون من غير المسلمين يفتقدون هذين الركنين.

2 ـ **العلم، وهي صفة مهمة لا بد من توافرها في المبدع،** فلا يمكن أن

---

[124]() سورة البقرة، الآية 30.

يجد الإبداع طريقه في إنسان ليس لديه علم ولا معرفة، فكيف له أن يخترع ويبدع، وهو يفتقد إلى المقوّم الأساس الذي يرتكز عليه الإبداع وهو العلم في المجال المحتمل أن يبدع فيه، قال الله تعالى:

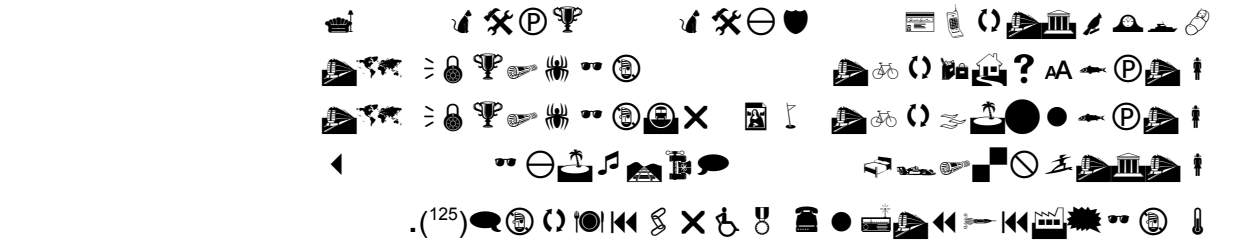

(125).

3 ـ **الجدية في الحياة، والجدية في التعاطي مع الأشياء في الكون**، هو من صفات المبدعين، والمبدع إنسان جاد لا يمرّ على معالم الحياة من غير أن يتأمل فيها ويستفيد منها، لأنه على يقين أن الله لم يخلق شيئًا إلا لأداء وظيفة، أو من أجل تسخيره والاستفادة منه لغاية أكبر، قال الله تعالى:

(126).

ونظرة فاحصة في الكون، بسمائه وأرضه ومائه وكائناته، تقود

---

(125) سورة الزمر، الآية 9.
(126) سورة لقمان، الآية 20.

إلى النتيجة الحتمية وهي: أن الإبداع طريقه الجد، فمثلًا النملة، هذا المخلوق الضعيف، يضرب بها المثل في الجد والحركة، فهي تبدع حين تسعى دائمًا من أجل الحصول على رزقها في مواسم محددة، وتدخره بطريقة مبدعة للأيام والفصول القادمة، حين لا تستطيع الخروج من مساكنها.

4 ـ **الحفاظ على الوقت، فالمبدع الحقيقي لا يفرط بوقته ولا يضيعه بسفاسف الأمور**، وإنما يستغله في المفيد من العلم والعمل والقيام بواجباته نحو ربه ونفسه وأهل بيته والمجتمع من حوله، لأن الوقت إذا لم يستغل في سبل الخير والعمل الصالح استُغل في الشرِّ والفساد، والإنسان في جميع الأحوال مسؤول عن وقته، كيف يقضيه وفيم يقضيه، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**»[127]، وقال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر مبينًا نعمة الوقت عند الإنسان: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**»[128].

5 ـ **التفكر في الكون، فالمبدع يتفكر في الكون ويتأمل في آياته وسننه**، ويشعر بعظمة الله تعالى وإبداعه في مخلوقاته، الأمر الذي يدفعه للعمل والسعي من أجل أن يشارك في وضع بعض اللبنات في العملية الإبداعية، قال الله تعالى: ﴿ ﴾

---

[127] () أخرجه الترمذي، برقم(2417) ص(550 - 551)، عن أبي برزة الأسلمي ط، وقال هذا حديث حسن صحيح.

[128] () أخرجه البخاري، برقم(6412) ص(1113)، عن ابن عباس م.

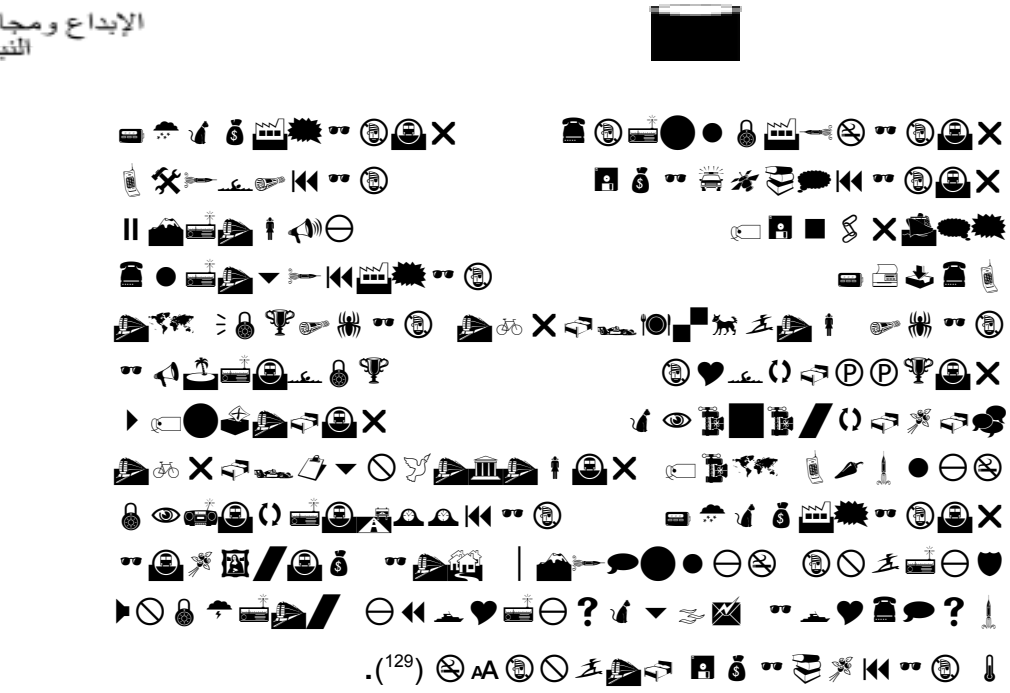

6 ـ **مجالسة الجادين والمبدعين، فيختار المبدع دائمًا لنفسه الرفقة الطيبة والصحبة الصالحة،** حتى تعينه وتشجعه للعمل من أجل تقديم ابتكار أو اكتشاف، أو مشاركة في عمل جماعي يفيد بلاده وأمته، وربما يستفيد هذا المبدع من الصحبة الطيبة بعض الآراء والأفكار في تطوير مشاريعه وأعماله، لتخرج بأفضل صورة وأحسن حال، أما الصحبة السيئة والفاسدة، فلا يجلب للإنسان إلا التثبيط والفشل، لأنها تشغله عن معالي الأمور إلى سفاسفها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحًا خبيثة**»([130]).

---

[129]() سورة آل عمران، الآيتان 190 - 191.

[130]() أخرجه البخاري، برقم(5534) ص(984)، ومسلم، برقم(2628) ص(1146)، كلاهما عن أبي موسى الأشعري ط.

7 ـ **التفاؤل، فالمبدع متفاؤل دائمًا، ولا يعرف اليأس والقنوط إلى نفسه سبيلًا،** فإن أخفق أحيانًا فلا يستسلم أبدًا، بل ينهض ويعاود العمل مرة أخرى، لأنه يكتشف في مرحلة الفشل أمورًا كانت غائبة عنه، ربما تساعده على تطوير عمله والإبداع فيه، وقد أمر الشارع بالتفاؤل ونهى عن اليأس والقنوط، قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: «**إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني**»[131].

8 ـ **الصبر والتحمل، فالغايات الجادة، والوصول إلى القمة يحتاج إلى صبر ومصابرة،** وقوة في التحمل، وعزيمة على المواصلة والاستمرار، والنصوص القرآنية والنبوية أكثر من أن تحصر في هذا الأمر، وقد صوّر الشاعر هذا المعنى الكبير بقوله:

لا تحسبن المجد تمرًا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصَّبِرا

هذه أهم الصفات التي يتحلى بها المبدع وتميزه عن غيره من الناس، فإذا توافرت هذه السمات في أي إنسان يستطيع أن يكون مبدعًا ومبتكرًا في المجال والتخصص الذي يميل إليه، سواء في العلوم الشرعية والنظرية، أو في العلوم التطبيقية والتجريبية.

ثانيًا: عوامل تكوين الإبداع :

من خلال ما سبق من النصوص، نستنتج مجموعة من العوامل التي تولّد في الإنسان القدرة الإبداعية، وتساعده على الإبداع والاختراع في بعض الجوانب والميادين التي يميل إليها، ومن أهم هذه العوامل:

---

[131]() أخرجه الترمذي، برقم(2388) ص(544)، هذا حديث حسن صحيح.

1- **مجالسة أهل العلم والخبرة،** للاستفادة منهم في تحصيل العلوم والمعارف التي تساعدهم على الإبداع والابتكار، كما يستفاد من تجاربهم السابقة في مجالات الاجتهاد والإبداع، وكذلك الاستفادة منهم في معرفة المنهج العلمي الصحيح في البحوث والدراسات العلمية، قال النبي ﷺ: «إن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم»([132]).

2 - **القراءة الفردية والثقافة الذاتية،** الأمر الذي يكشف للإنسان مزيدًا من المعارف والعلوم، لأن الكتب والمصنفات هي خلاصة ما لدى أصحابها من العلوم، حسب تخصصه، وبذلك فإنه يمكن جمع أكبر كمية من المعلومات المختلفة أثناء القراءة والمطالعة الذاتية لهذه الكتب والدراسات، يستفاد منها في العملية الإبداعية.

3 - **تنمية ملكة التأمل والتخيل عند الإنسان في مراحله الأولى،** وذلك من خلال تكليفه بأعمال تقتضي ذلك، مثل تكليفه بكتابة قصة قصيرة عن حدث أو مشكلة يصنعها هو ويعالجها بالقصة نفسها، أو عمل اختبار له بوضع جميع التصورات والتأملات لديه وماذا يمكن أن يستفاد منها، وهكذا.

4 - **التعامل مع الألعاب، في المراحل العمرية الأولى،** وخاصة التي تعتمد على التفكير والخيال، مثل المكعبات والمثلثات، وكذلك الألعاب التي فيها ألغاز ومسائل رياضية، لأن ذلك يعين الإنسان في بناء أساسيات الإبداع، ويهيئه للعملية الإبداعية منذ صغره.

5- **الحث والتشجيع على الإبداع، من خلال تقديم الجوائز والمكافآت**

---

[132]() سبق تخريجه.

للمبدعين، حتى تحدث روح التنافس بين الناس، ويسعى كل واحد منهم ليقدم أفضل ما عنده في المجال المتخصص فيه.

6 ـ **رعاية الموهوبين، وتوفير الأجواء المناسبة لهم للعملية الإبداعية**، وذلك بتوفير الراحة النفسية لهم، وقضاء حوائجهم المعيشية، وتعليمهم في أفضل المراكز العلمية، وتوفير جميع الأدوات والآليات اللازمة لتنمية مواهبهم وميولاتهم المختلفة.

المبحث ا
معوقات الإبداع

هناك مجموعة من المعوقات التي تحول دون تحقيق الإبداع، منها:

أولاً: البُعد عن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وعدم التحاكم إليهما في كل الشؤون والأحوال، والتقصير في العبادات والطاعات، والخوض في المعاصي والمنكرات، كل ذلك ينزع البركة والجود والتوفيق في عمل الإنسان ووقته وماله ومصلحته، قال الله تعالى: [illegible](133)، وبالمقابل قال جل وعلا: [illegible](134)، وقال: [illegible](135).

ثانيًا: الجهل :

قيل في المثل: من جهل شيئًا عاداه، والإنسان الجاهل الذي ليس لديه علم بالأشياء، أو كانت لديه معلومات مغلوطة وغير صحيحة،

---

(133) سورة الأحزاب، الآية 36.
(134) سورة الطلاق، الآية 2.
(135) سورة الطلاق، الآية 4.

يقف حاجزًا ومانعًا أمام العملية الإبداعية، لأن الإبداع الحقيقي يعتمد بالدرجة الأولى على الحقائق والمعلومات الصحيحة عن الأشياء التي يتمحور حولها الإبداع، فالذي يريد أن يبدع ويكتشف يحتاج إلى مجموعة من الحقائق العلمية المترابطة التي تكوّن عند الإنسان تصورًا علميًا صحيحًا لينطلق منها إلى ما يرنو إليه من الإبداع.

من أجل ذلك كان لزامًا على كل من يريد أن يسهم في العملية الإبداعية أن يتعلم ويقرأ ويبحث ويتفكر ويتدبر، ومن ثم يسخر ذلك كله مع ما لديه من المهارات والمواهب للاختراع والإبداع في الحياة. قال الله تعالى: [illegible] ([136]).

ثالثًا: عدم الطموح إلى الأفضل:

الطموح إلى الأفضل من عوامل الإبداع، والتقاعس إلى الأرض والرضى بالحال، وعدم التفكير في تغييره، من عوامل هدم الملكات والمواهب لدى الإنسان، فالاكتفاء بالوسائل المتاحة أو الأسباب المتوفرة عند الإنسان والتي تؤمن له البقاء على هذه الحياة دون أن يحاول تبديلها وتغييرها إلى الأفضل يعدّ عائقًا كبيرًا أمام ملكة الإبداع والاختراع لديه، خاصة إذا توفرت الإمكانات اللازمة للإبداع، من الوقت والمال، وسهولة الحصول على المعلومة، وسرعة التواصل مع الآخرين، وسلامة العقل والبدن من العاهات، وغيرها من

[136]() سورة الزمر، الآية 9.

المساعدات المعينة على العملية الإبداعية، ومعظمها متوفر في الوقت الحاضر، ولكن الأمر الأهم من ذلك هو إرادة الإنسان، ورغبته في التحرك نحو الأفضل، فإذا وجدت الإرادة مع الحركة والعمل، يستطيع الإنسان أن يبدع، ويكتشف، ويطور نفسه، وأدواته إلى حال أفضل، أما إذا انعدمت هذه الإرادة، أو أهملت من قبل صاحبها، فإن الطموح والميول تتلاشى معها، ولا يستطيع الإنسان حينها أن يتحرك خطوة نحو الأمام.

رابعًا: الانشغال بسفاسف الأمور عن معاليها أو بالمفضول عن الفاضل:

هذا العامل من الآفات التي تعطل الإنسان عن الإبداع والنجاح والتقدم في الحياة، بل تجعله عالة على الآخرين، وعقبة في تحقيق آمالهم، وهذا شأن الذين لا يعرفون وزنًا للحياة ولا اعتبارًا لوجودهم، بل يسخرون جلّ أوقاتهم في القال والقيل، والغيبة والحسد والحقد والنظر إلى ما عند الناس، وغير ذلك مما نهى الله عنه، وكلها معاول هدم لملكة الإبداع عند الإنسان، بخلاف الإنسان الآخر الذي ينظر إلى المعالي، ويطمح أن يحقق النجاح تلو الآخر، ويتأمل في كل شيء يمر عليه ليستفيد منه ويصلح به حاله، ويحوّل الأفكار والتصورات إلى واقع عملي متطور، يستفيد منه الجميع، وهذا شأن المبدعين الناجحين الذين انشغلوا بمعالي الأمور عن سفاسفها.

خامسًا: عدم وجود محفزات ومشجعات للإبداع :

تتعطل العملية الإبداعية في كثير من مراحلها، بسبب عدم وجود مشجع ودافع لها، لأن هناك شرائح كبيرة من الناس لديهم ملكات

إبداعية وميول اكتشافية، ولكنهم لا يترجمونها إلى واقع إذا لم يجدوا مقابلًا مناسبًا لها، أو حين يشعرون أن هذه الإبداعات والابتكارات ستؤول إلى غيرهم، بل إن كثيرًا من هؤلاء المبدعين لا يخرجون كل ما لديهم من الإبداعات والاختراعات بسبب الأجواء الموبوءة في بعض المجتمعات المليئة بالحسد والحقد والضغينة، فيتنحى عن تنمية ميولاته الإبداعية وإخراجها إلى الواقع.

والأمم التي تملك زمام الحضارة والمدنية، وبيدها عوامل القوة والتمكين في الأرض، هي التي عرفت قيمة الملكة الإبداعية، وقيمة المبدع والمخترع، فعملت جاهدة لاحتواء المبدعين لديها، وتأمين جميع حوائجهم ورغباتهم، ووضعت لهم محفزات ومشجعات، مادية ومعنوية، لإخراج ما لديها من أفكار إلى الواقع، وقد أثّر فيها ذلك، وشجعها على العمل الجاد في المجالات التي يبدعون فيها، حتى تقدمت على الركب، وقادت الأمم الأخرى، بفعل ما أنتجت من صناعات وابتكارات وإبداعات.

سادسًا: عدم الاهتمام بالموهوبين ومن لديهم ملكات إبداعية، الأمر الذي دفع بالكثيرين من أصحاب الميول الإبداعية والابتكارية إلى الهجرة خارج بلادهم، وتقديم كل ما لديهم من قدرات وطاقات لغير مجتمعهم وأمتهم، لأنهم يجدون في تلك البلاد مناخًا خصبًا لتنمية مهاراتهم، كما يجدون منهم الدعم والمساندة في كل ما يحتاجون إليه.

سابعًا: الأنانية المفرطة والعمل من أجل المكاسب الشخصية والمصالح الذاتية، دون النظر إلى مصالح الآخرين وحاجاتهم، فإن الإبداع في هذه الحالة ينحسر في زوايا ضيقة ولا يتقدم بالشكل

المطلوب.

ثامنًا: الصراعات الداخلية والنزاعات الدائمة بين الناس تعطب العملية الإبداعية وتقتل كل المهارات والمواهب في مهدها، الأمر الذي يؤدي بالمجتمع إلى الضعف والتمزق والفشل، قال تبارك وتعالى: 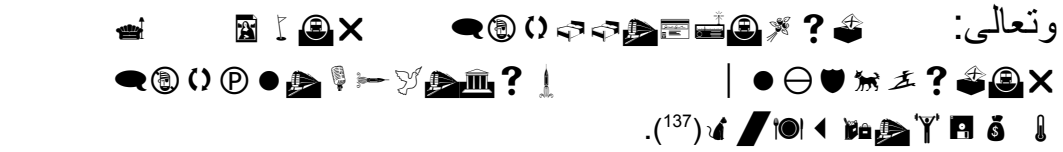 .[137]

تاسعًا: الخوف من الفشل، أو الخوف من النقد، وهو عقبة في طريق المبدع، إذ يجعله واقفًا مكانه لا يتعداه، والصحيح أن يخوض الإنسان التجربة إذا تكاملت دراستها، ويستفيد من النقد للرقي والتحسن.

كانت هذه أهم العوامل التي تؤدي إلى تعطيل مسيرة الإبداع والابتكار في المجتمع، فكان لابد من معرفتها ووضع العلاجات المناسبة لإزالتها أو التخفيف من وطأتها، ليأخذ الإبداع طريقه في المزيد من الاجتهادات والاكتشافات والاختراعات.

☼☼☼☼☼☼

[137]() سورة الأنفال، الآية 46.

قبل الختام

قبل ختام هذا البحث حول التوجيهات النبوية في الإبداع، لا بد من توجيه رسالتين إلى فئتين من الناس، رسالة إلى أولياء الأمور من الآباء والأمهات، ورسالة إلى الشباب الذين يقع على عاتقهم جزء كبير من عمليات الإبداع والابتكار:

الرسالة الأولى: نداء للآباء والأمهات :

لقد رزقكم الله تعالى الذرية من الشباب والبنات، وهو أعظم رزق وأكبر نعمة، حين يُنظر إلى حال أولئك الذين حُرموا هذا الرزق وهذه النعمة، فالذرية أعظم كنز، وأعظم ذخر، وأعظم منحة إلهية، وهو في الوقت نفسه محل الفخر والاعتزاز، ذلك الشاب، وتلك الفتاة، قال الله تعالى: [138].

فكونوا أيها الأولياء معهم، ووفّروا لهم ما يحتاجون من الوسائل والإمكانات المشروعة للنهوض بهم وتعليمهم العلوم الصحيحة، ثم تعرّفوا على مهاراتهم وقدراتهم ومواهبهم، واهتموا بها وأعطوها الرعاية الكافية، وإن كلّف ذلك الجهود الكبيرة، والأموال الكثيرة، والأوقات الطويلة، لأن مآل ذلك في الدنيا عظيم وهو عمارة الكون والتمكين في الأرض ونشر الخير عليها، ومآله في الآخرة أعظم عند الله تعالى في المثوبة والجزاء.

---

[138]() سورة الكهف، الآية 46.

والحذر الحذر، من إهمال الأبناء والبنات، والتقصير في رعايتهم وقتل المواهب عندهم، على حساب أشياء دنيوية جانبية وزهيدة، لأن مآل ذلك وبال وخسران في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: [139]، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**».

الرسالة الثانية: نداء للشباب والفتيات :

أنتم مصدر القوة والعزة للأمة، ومصدر السؤدد والإباء، يا مَنْ يرجون النفع لأسرهم ومجتمعهم وأمتهم:

- **لقد رزقكم الله الموهبة والقدرة والقوة والنشاط**، ووفّر لكم كل أسباب الإبداع والإنتاج، فكونوا على مستوى هذه النعم والأفضال، وقوموا بواجبكم كما أمركم ربكم بالعلم والعمل، وأخلصوا النية في ذلك، لتنالوا سعادة الدنيا والآخرة.
- **لقد أبدع شباب الأمة وفتياتها منذ عصر النبوة وإلى العصور المتأخرة في كافة العلوم والمعارف**، وقد انبرى في الأمة أعداد كبيرة من العلماء والمبدعين في التفسير واللغة والأدب والشعر، وفي التربية والاجتماع، والاقتصاد والفلسفة، والطب والرياضيات والفيزياء وغيرها، وتركوا تراثًا ضخمًا من المؤلفات والمصنفات في تلك العلوم والفنون التي أصبحت ـ فيما بعد ـ بمثابة أصول ومراجع لأي مشروع علمي أو إبداعي.
- **لقد استطاع شباب السلف بقوة إيمانهم بالله** ومن ثم بما أوتوا من طاقات ومهارات أن ينشروا عقيدة التوحيد وتعاليم الإسلام في أرجاء المعمورة، رغم قلة المؤن والزاد،

---

[139]() سورة التحريم، الآية 6.

وصعوبة الأسفار وأخطارها في ذلك الوقت، لكنهم وكما قال الشاعر عنهم:

بيننا حقبةٌ في الأرض ملكًا يدعّمه شباب طامحو نا
شباب ذلّلوا سبل المعالـ
تعهدهم فأنبتهم نباتًا
هم وردوا الحياض مبرّ[illegible]

☼☼☼☼☼☼

الخـاتمــة

وهكذا فإن الهدي النبوي حفل بكثير من التوجيهات والتعليمات التي تحث المؤمن على الاجتهاد والإبداع في ميادين العلم، والفكر، والعمل، والاقتصاد، والقوة العسكرية، وغيرها من المناحي الحيوية التي تحقق السعادة والراحة والأمن والسلامة للإنسان، وهذا يدل على الشمولية في الإسلام، حيث لم يترك هذا الدين الإنسان بين الاهتمام به في بعض الجوانب وترك بعضها الآخر، بل جعل من كل آماله ورغباته وحاجاته في الحياة موضع عناية واهتمام وتكريم.

وفي ذلك ردٌّ على الذين يتهمون الدِّين وتعاليمه بالجمود والركود، ليعطوا الحجة والمبرر على حرياتهم المطلقة التي تهلك الحرث والنسل، ولا تقدم للبشرية غير الفشل والخيبة في العلاقات الاجتماعية والفشل في إيجاد روح التآلف والمحبة بين الناس، وكذلك التعدي على حريات الآخرين وعقائدهم وقيمهم وأخلاقهم، أما الإسلام المتمثل في كتاب الله وهدي نبيه ﷺ، فقد أعطى الحرية للناس، للتحرك والسعي في الحياة، وطرق كل الأبواب التي يمكن الإبداع فيها، والانفتاح على الآخرين والاستفادة منهم، في العلوم النظرية والتطبيقية من أجل إرساء معالم العدل في الأرض، وإحقاق الحقوق لأصحابها، ومنع الظلم والتعدي بين الناس بعد أن وضع بعض الضوابط التي تعين العملية الإبداعية لتسير في طريقها الصحيح ووفق المنهج الذي يتناسب مع رغبات الناس وتطلعاتهم.

ومن أجل أن تتحقق هذه التوجيهات النبوية المباركة على أرض الواقع، ويتحول الكلام إلى تطبيق، لابد من العمل الدؤوب، وبذل الجهود، وتنمية الطاقات والقدرات، والمحافظة على نعم الله وآلائه، والاستفادة منها، وعدم الانشغال بسفاسف الأمور، وضياع الأوقات في اللهو والشهوات والسهرات، والإخلاص ـ في ذلك كله ـ لله تعالى حتى يُتَوَّجَ بتوفيقه وحفظه ورعايته.

ولعلّي هنا أشير إلى بعض التوصيات المستقاة من هذا البحث:

1 - **أرى أن تخصص المؤسسات الحكومية في بلدان العالم الإسلامي** أقسامًا خاصة لرعاية المبدعين وتشجيعهم، تتوجه بأهمية الإبداع والهدف منه، وأخص المؤسسات التعليمية والتربوية، والتقنية، والإعلامية، والثقافية وغيرها، ففي أبناء الأمة خير كثير.

2 - **أرى أن تهتم مؤسسات القطاع الخاص** بإيجاد مؤسسات خاصة للمبدعين في التخصصات المختلفة، تنمي فيها المهارات والمواهب لديهم، فمثلًا مؤسسة لرعاية الخطباء، وثانية للكتاب، وثالثة للتقنيين، ورابعة للخياطة والحياكة بالنسبة للنساء، وأخرى للإبداع الأدبي، وغيرها. وتكيّف حسب ما يتناسب كل بلد.

3 - **توصية خاصة لعلماء السنّة النبوية أن يهتموا بإخراج كنوزها**، سواء ما يتعلق بمناهج العلوم، كعلم التربية، والاجتماع، وعلم النفس وغيرها، أو ما يتعلق بموضوعات خاصة لم تأخذ حقها من الاهتمام والعناية، وأحسب أن السنّة النبوية مليئة، والتقصير منّا نحن المختصين.

4 - **توصية خاصة للآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات** أن يكتشفوا الكنوز الإبداعية لدى أبنائهم وبناتهم وطلابهم وطالباتهم، وينمّو فيهم ما أودعه الله فيهم من قدرات ومواهب لينفعوا أنفسهم وأسرهم ومجتمعهم وأمتهم.

5 - **نختم بتوصية للشباب والفتيات** بأن يشكروا الله تعالى على ما وهبهم من سمات وقدرات فيستخرجوها، وينمّوها، وليجعلوا كل ما أمامهم من النِّعم مساعدات لهم حتى تتكامل تلك الجهود لتخرج ثمارًا يانعة.

نسأل الله تعالى أن يحقق الآمال، وأن يرزقنا حسن القصد في القول والعمل، إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

☼☼☼☼☼

فهرس الموضوعات

الموضـوع	الصفحـة
o **المقدمة.....**	3
..	
ـ هدف البحث	4
ـ خطة البحث.....	5
ـ منهج البحث.....	8
o **التمهيد:الإبداع: مفهومه وأهميته وشموليته:.....**	9
ـ مفهوم الإبداع والابتكار.....	9
ـ الفرق بين الإبداع والبدعة.....	10
ـ شمولية التوجيهات النبوية لكافة ما يتطلبه رقي الفرد والمجتمع..	12
ـ أهمية (الإبداع) لرقي الفرد والمجتمع.....	16
o **المبحث الأول: التوجيهات النبوية العامة للحث على الإبداع.....**	21
أولًا: الحث على التفكر في الكون.....	21
ثانيًا: الحث على تنمية التفكير.....	23
ثالثا: الحث على تنمية المواهب والقدرات.....	24
رابعًا: الحث على حسن التعامل مع الكون والإنسان.....	26
خامسًا: الحث على الإبداع بعظم الأجر والثواب.....	30
o **المبحث الثاني: من ميادين الإبداع.....**	33
مدخل: الإبداع والبدعة في العبادة والموقف منهما	33
أولًا: الإبداع العلمي والمعرفي	36

.....	
ثانيًا: الإبداع المهني والتقني (العمل).....	41
ثالثا: الإبداع الاقتصادي.....	46
رابعًا: الإبداع الأدبي والبياني	54
خامسًا: الإبداع الفكري.....	62
سادسًا: الإبداع في بناء الشخصية الشمولية.....	68
o **المبحث الثالث: ضوابط سلامة الإبداع في السنة النبوية وآثارها...**	71
أولًا: الضوابط.....	71
ثانيًا: الآثار والفوائد.....	73
o **المبحث الرابع: سمات المبدع، وعوامل تكوين الإبداع وتشجيعه:...**	77
أولًا: سمات المبدع.....	77
ثانيًا: عوامل تكوينه.....	81
o **المبحث الخامس: معوقات الإبداع الفردي والجماعي.....**	83
o **قبل الختام**	89
o **الخاتمة**..... .	93
o **فهرس الموضوعات**	97